نظريتي في قصة

صلب المسيح

وقيامته من الأموات

بقلم: د. محمد توفيق أفندى صدقى

الناشر الإليكترونى



ابن الفاروق المصري

http://ebn-elfarouk.blogspot.com

تنويه: نشرت هذه الدراسة فى عام 1913 فى مجلة المنار المجلد 16 جزء 2 ص.113 واعدنا نشرها للفائدة فى اكتوبر 2010

ذهب علماء الإفرنج المحققون في تعليل منشأ هذه المسألة مذاهب شتى لأنهم لا يعتقدون حصول هذه القيامة الموهومة. ولسنا في حاجة إلى نقل آرائهم في مثل هذه المقالة، ومن شاء الاطلاع على شيء من ذلك فليقرأ مؤلفات رينان وإدوارد كلود، ودائرة المعارف المتعلقة بالتوراة، وكتاب دين الخوارق وغير ذلك. وإنما نريد الآن أن نقول كلمة في هذا الموضوع لنزيل الغشاوة عن أعين هؤلاء الناس الملقبين بالمبشرين وهي نظريتي [1] فى هذه المسألة فنقول:

كان بين تلاميذ المسيح رجل يدعى يهوذا، وهو من قرية تسمى خريوت في أرض يهوذا فلذا عرف بالأسخريوطي، وكان يشبه المسيح في خلقته شبهًا تامًّا [2] ومن

---

[1] النظرية هي الرأي الذي يقال لتفسير بعض المسائل وتعليل بعض الحقائق تعليلا عقليًّا مقبولا، فنحن في هذه المقالة قد فرضنا جدلا صحة أكثر ما في هذه الأناجيل من الحكايات وسلمنا أن لبعضها الآخر أصلا صحيحًا، وما رفضناه منها إنما هو لسبب معقول ولكن علمنا بما فعل منتحلو النصرانية الأقدمون من التلاعب والتحريف والغش والتزوير فيما وصل إلى أيديهم من الكتب سواء كانت لهم أو لغيرهم من الأمم وافتجارهم الرسائل الكثيرة والكتب العديدة ونسبتها إلى غير مؤلفيها - كل ذلك يحملنا على الشك في جميع ما نقلوه ورووه. ولذلك نرى علماء النقد الآن في أوربة يشككون في جميع هذه الكتب المقدسة عندهم ويرفضونها بالبراهين العلمية العقلية التاريخية الصحيحة ومنهم من تغالى حتى أنكر وجود المسيح نفسه في العالم لكثرة ما علمه عن القوم من الأباطيل والاختراعات والأكاذيب والمفتريات (راجع دائرة معارف التوراة مجلد 3 ص 3620 وكتابات المستر م روبرتسن).

[2] ذكر العلامة جورج سيسيل الإنكليزي في ترجمته للقرآن الشريف في سورة آل عمران ص38 أن السيرنثيين Cerinthians والكربوكراتيين **Carpocratians** وغيرهم من أقدم فرق النصارى قالوا إن المسيح نفسه لم يصلب وإنما صلب واحد آخر من تلاميذه يشبهه شبهًا تامًّا، وفي إنجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذي صلب بدل المسيح هو يهوذا الأسخريوطي وهو الذي قالت عنه كتبهم أنه انتحر يوم الصلب(مت 27: 3-8) لأنهم لم يجدوه، والظاهر أنهم لم يعرفوا ما حدث له ولذلك اختلفت تفاصيل قصته في سفر الأعمال (1: 18 -20) عما في إنجيل متى فلهذا كله ذهبنا إلى أنه كان يشبه المسيح وأنه هو الذي صلب بدله كما في المتن.

المعلوم أن المسيح كان يدعو الناس إلى دينه في الجليل ولكنه كان يذهب إلى أورشليم كل سنة في عيد الفصح كما هي عادة اليهود فزارها في السنة الأولى من بعثته وكان هو وأتباعه القليلون محتقرين فيها لأن اليهود كانوا يحتقرون أهل الجليل وخصوصًا سكان الناصرة [3] فما كان أحد يبالي بهم أو يلتفت إليهم، وفي السنة الثالثة من بعثته لما زارها في المرة الأخيرة من حياته كان شأنه قد ارتفع عن ذي قبل وكثرت أتباعه فحقد عليه رؤساء اليهود الذين استاءوا من أقواله وأعماله وتعاليمه فصمموا على الفتك به واتفقوا مع يهوذا الإسخريوطي على أن يدل مبعوثيهم عليه ليقبضوا عليه فذهب يهوذا معهم ودلهم عليه فإنهم ما كانوا يعرفونه (مرقس **14: 43 – 46**) فأمسكوه وكان ذلك ليلا وساقوه إلى بيت رئيس الكهنة فتركه جميع التلاميذ وهربوا (مر **14: 50**) ولكن تبعه بطرس من بعيد ثم أنكر علاقته به وفر هو أيضا هاربًا، وأما دعوى صاحب الإنجيل الرابع أن يوحنا تبعه أيضا (يو **18: 15 – 18**) فالظاهر أنها مخترعة من واضعه لمدح يوحنا كما سيأتي بيانه وإلا لذكرها الثلاثة الإنجيليون الآخرون.

ولما كان الصباح ساقوه إلى بيلاطس الذي كان يود إنقاذه منهم ولكن الظاهر من الأناجيل أنه لم يفلح فحكم بصلبه فأخذه العسكر إلى السجن حتى يستعدوا

---

[3] دعوى ولادة المسيح في (بيت لحم) قد كذَّبها علماء النقد في أوربة وبينوا أن الإحصاء الذي يقول لوقا أنه حمل مريم أم عيسى ويوسف على السفر إلى بيت لحم للاكتتاب هناك لو (2: 1–7) لم يحدث إلا في مدة ولاية كيرينيوس الثانية أي بعد ولادة عيسى بنحو 10 سنين على الأقل والذي حمل النصارى على هذا التلفيق رغبتهم في تطبيق نبوات اليهود وأفكارهم على المسيح كما في ميخا(5: 2–9) فإن اليهود كانت تعتقد أن المسيح لا بد أن يكون من نسل داود ومولودًا في مدينته التي ولد فيها (بيت لحم) مع أن نسل داود كان قد انقرض قبل زمن المكابيين، ولم يقف أحد له على أثر. راجع الفصل الثاني والخامس عشر من كتاب (رينان) في حياة المسيح.

للصلب، ففر من السجن هاربًا إما بمعجزة أو بغير معجزة كما فر بعض أتباعه بعده من السجون أيضا (راجع أ ع 12: 6–10 و16: 25 و26) وربما ذهب إلى جبل الزيتون ليختفي (انظر مثلا يو 8: 1 و59 و10: 39 و11: 53 – 57) وهناك توفاه الله أو رفعه إليه بجسمه أو بروحه فقط فخرج الحراس للبحث عنه، وكان يهوذا مسلمه قد صمم على الانتحار وخارجًا ليشنق نفسه في بعض الجبال (متى 27: 3–10) ندمًا وأسفًا على ما فعل فلقيه الحراس، ونظرًا لما بينه وبين المسيح من الشبه التام فرحوا وظنوه هو وساقوه إلى السجن [4] [5] متكتمين خبر

---

[4] فإن قيل: إن الذي يفهم من هذه الأناجيل أن الصلب كان عقب صدور أمر بيلاطس مباشرة فلم يكن ثم وقت لهروبه من السجن ولا للقبض على غيره كما تقول، قلت: وهل يوثق بما في هذه الأناجيل من التفاصيل المتضاربة المتناقضة في كل جزئية من جزئيات حياة المسيح كما بينه بالتفصيل التام كثير من علماء الإفرنج أنفسهم كصاحب كتاب دين الخوارق Supernatural Religion وغيره؟ ألا ترى أن هذه الأناجيل اختلفت حتى في نفس يوم الصلب وساعته وفي يوم صعود المسيح إلى السماء ومكانه؟ فقد نصت الثلاثة الأول منها على أن المسيح أكل الفصح مع تلاميذه كعادة اليهود أي في يوم 14 نيسان (راجع متى 26: 17 و 19 36 47 ومر 14: 12 16 ولو 22: 7 3) وأن عشاءه الأخير كان في يوم الفصح المذكور ولذلك اتخذه النصارى خصوصًا في آسيا الصغرى عيدًا من قديم الزمان، ثم صلب في اليوم الثاني للفصح أي في 15 نيسان ولكن الإنجيل الأخير جعل هذا العشاء ليس في يوم الفصح بل عشاء آخر عاديًا قبل الفصح – كما في الإصحاح 13 منه – أي في يوم 13 نيسان فيكون الصلب وقع في يوم 14 منه أي يوم عيد الفصح نفسه والذي حمل مؤلفه على ذلك أنه أراد أن يجعل هذا العيد اليهودي رمزًا إلى المسيح كأنه هو خروف الفصح الذي يذبح في هذا اليوم بخلاف الأناجيل الأخرى فإنها نصت على أن الخروف كان ذبح قبل يوم الصلب وأكله المسيح نفسه مع تلاميذه وسنَّ فريضة العشاء الرباني في هذا اليوم لذكراه لأنه كان يوم وداعه وأعظم أعياد الشريعة الموسوية ولكن الإنجيل الرابع يتجاهل هذه الفريضة كما يفهم من الإصحاح 13 المذكور ويقول بعد ذلك أن محاكمة المسيح أمام بيلاطس كانت وقت استعداد اليهود للفصح في الساعة السادسة وأن اليوم التالي لهذا الاستعداد كان يوم السبت وكان عظيما عند اليهود، أي لأنه أول أيام الفطير، راجع (يو 19: 14 و31) وهو صريح في أن الصلب وقع في يوم الاستعداد الذي يذبح في مساءه خروف الفصح أي يوم 14 نيسان، وعليه فلم يجعل المسيح هذا اليوم عيدًا بحسب الإنجيل الرابع! ولذلك تركت كنيسة رومة وأكثر

النصارى عيد الفصح هذا واستبدلوا به عيد القيامة وقد وقعت بينهم وبين نصارى آسيا الصغرى مناقشة عنيفة في هذا الموضوع في أوخر القرن الثاني وأصر أهل آسيا على جعل يوم عيد الفصح اليهودي(14 نيسان) عيدًا لهم أيضا لأنهم يقولون أن يوحنا الذي كان مقيمًا في وسطهم وغيره من تلاميذ المسيح كانوا يحتفلون بهذا العيد كما رواه يوسيبيوس في القرن الثالث عن بوليكارب تلميذ يوحنا، وروى بوليقراط أسقف أفسس في أواخر القرن الثاني عن يوحنا مثل هذا أيضا، فكيف إذًا اتخذ يوحنا هذا اليوم – يوم الفصح اليهودي- عيدًا مع أنه لم يَذكر في إنجيله – إذا صح أنه هو الكاتب له – أن المسيح جعله عيدًا كما قالت الأناجيل الثلاثة الأخرى، بل وصلب فيه فلم يسن فيه فريضة العشاء الرباني ولا أكل الفصح في هذه السنة؟.

[5] راجع كتاب دين الخوارق (ص552، 553، 563، 564) وقد نص يوحنا على أن المسيح كان مقبوضًا عليه قبل أن يأكلوا الفصح 18: 28 مع أن الأناجيل الأخرى نصت على أن القبض عليه كان بعد أكل الفصح، فهل بعد ذلك يقال أنهم متفقون؟ وهل هذه العبارة تقبل أيضا التأويل؟ أما ساعة الصلب فهي أيضا مختلفة في الأناجيل كما قلنا، ففي إنجيل مرقص أنه صلب في الساعة الثالثة مر (15: 25)وفي إنجيل يوحنا(19: 14) أنه لم يصلب إلا بعد الساعة السادسة، فإن قيل: إن ما ذكره يوحنا هو بحسب اصطلاح الرومان، قلت: وكيف يجري يوحنا على هذا الاصطلاح مع أنه كتب إنجيله في آسيا الصغرى، ولا يجري على هذه الاصطلاح مرقص الذي كتب إنجيله في رومة نفسها بناء على طلب الرومان منه ذلك كما رواه كليمندس الإسكندري ويوسيبيوس وجيروم وغيرهم؟ على أننا إذا راجعنا إنجيل يوحنا نفسه ظهر لنا نقض هذه الدعوى، فإنه قال يو(18: 28) أنهم جاءوا بيسوع من عند قيانا إلى بيلاطس في الصباح فخرج إليهم بيلاطس لمحاكمته ثم أخذ يسوع إلى إدارة الولاية عدد(33) وناقشه مدة ثم خرج إلى اليهود 38 ثم أخذ يسوع وجلده (19: 1) واستهزأت به العسكر ثم أخرجه إليهم (19: 4) وناقش اليهود في أمره ثم دخل إلى دار الولاية (19: 9) وتكلم مع المسيح ثم أخرجه وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط وبالعبرانية جبانا (19: 13) فكانت الساعة السادسة يو (19: 14) فإذا كان المراد بهذه الساعة الساعة الرومانية أي في الصباح – كما يقولون – فكم كانت الساعة إذًا حينما أتوا بالمسيح إلى بيلاطس وقت الصبح كما قال يوحنا نفسه؟ يو (18: 28) أفلم تستغرق كل هذه المحاكمة والدخول والخروج بالمسيح والتكلم معه ومع اليهود زمنًا ما؟ وهل عُملت كلها في لحظة واحدة في الصباح نحو الساعة السادسة؟ وكم كانت الساعة إذا حينما أيقظوا بيلاطس في الصبح من نومه لمحاكمته، ومتى أرسل إلى هيردوس؟ كما يقول لوقا (23: 7-11) فالحق أن المراد بالساعة هنا الاصطلاح العبراني الذي جرى عليه مرقس وغيره لا الاصطلاح الروماني كما يزعمون ولذلك حرفوا هذه العبارة في بعض نسخهم وكتبوها الثالثة بدل السادسة يو (19: 14) لرفع هذه الإشكال. أما اختلافهم في يوم صعود المسيح إلى السماء ومكانه فبيانه أن المسيح بحسب إنجيل متى وفي إنجيل لوقا أنه صعد في يوم قيامته من مدينته أورشليم نفسها (لو 24: 1، 50،49،36،33،29،21،13 -53) وفي إنجيل يوحنا (20:

هروبه خوفًا من العقاب ولَمَّا وجد يهوذا أن المقاومة لا تجدي نفعًا ولِما طرأ عليه من التهيج العصبي والاضطراب النفساني الشديد الذي يصيب عادة المنتحرين قبل الشروع في الانتحار، ولاعتقاده أنه بقتل نفسه يكفر عما ارتكب من الإثم العظيم ولعلمه أن قتله بيد غيره أهون عليه من قتل نفسه بيده، لهذه الأسباب كلها استسلم للموت استسلامًا ولم يفُه ببنت شفة رغبةً منه في تكفير ذنبه وإراحة ضميره بتحمله العذاب الذي كان سلم سيده لأجله [6] ولما جاءت ساعة الصلب أخرجوه وساروا به وهو صامت ساكت راضٍ بقضاء الله وقدره ونظرًا لما أصابه من التعب الشديد والسهر في ليلة تسليمه للمسيح وحزنه واضطرابه لم يقو على حمله صليبه أو أنه رفض ذلك فحملوه لشخص آخر يسمى سمعان القيرواني وذهبوا إلى مكان يسمى الجمجمة خارج أورشليم وهناك صلبوه مع مجرمين آخرين فلم يكن هو وحده موضع تأمل الناس وإمعانهم ولم يكن أحد من تلاميذ

---

26) أنه ظهر لهم بعد ثمانية أيام من قيامته أي أن الصعود لم يكن في يوم قيامته كما في إنجيل لوقا! ومن العجيب أنهم يقولون أن لوقا هو مؤلف سفر الأعمال أيضا وتراه في هذا السفر يقول: إنه صعد من أورشليم بعد أربعين يوما (أع 1: 3-9) وهو خلاف ما في إنجيله! ويخالف أيضا إنجيل متى ومرقس (مر 16 - 7) اللذين جعلا الصعود من الخليل لا من أورشليم! فانظر إلى مقدار اختلافهم وتضاربهم حتى في هذه المسألة الهامة، فهل بعد ذلك نُلام لأنَّا لم نُعول على كل عبارة من عبارات أناجيلهم في هذه المقالة؟.

[6] يقول النصارى: إن يهوذا هذا مطرود من رحمة الله مع أنه ندم ندمًا شديدًا وتاب توبة نصوحًا، ولم يكفه ذلك حتى انتحر كما يقولون (متى 27: 3-10) وكان من ضمن الاثني عشر رجلا الذين بشرهم عيسى بالجنة (متى 19: 28) فلم لم يغفر ذنبه كما غفر ذنب التلاميذ الذين فروا وتركوا المسيح؟! وكما غفر ذنب بطرس الذي أنكر سيده وتبرأ منه وأقسم أنه لا يعرفه، مع أن توبته كانت قاصرة على البكاء؟! فلم لا يكون بطرس من الناس الذين تبرأ منهم المسيح بقوله متى (7: 22) (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذٍ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا أفاعي الإثم) وخصوصًا لأن المسيح قد سماه شيطانا (مت 16: 23).

المسيح حاضرًا وقت الـصلب إلا بعـض نـساء كـن واقفـات مـن بعيـد ينظـرن الـصلب مـت 27: 55 ولا يخفـى أن قلـب النـساء لا يمكِّـنهن مـن الإمعـان والتحديق إلى المصلوب في مثل هذا الموقـف وكـذلك بُعـد مـوقفهن عنـه، فلـذا اعتقدن أنه هو المسيح، وأما دعوى الإنجيل الرابـع 19: 26 أن مـريم أم عيـسى ويوحنا كانا واقفين عند الصليب فالظاهر أنها مخترعة كالـدعوى الـسابقة لمـدح يوحنا أيضا إذ يبعد كل البعد كـما قـال رينـان أن تـذكر الأناجيـل الثلاثـة الأول أسماء نساء أخريات وتترك ذكر مريم أمه وتلميذه المحبوب يوحنـا، كـما يـسمي نفسه بذلك في أغلب المواضع، إذا صح أنـه هـو مؤلـف الإنجيـل الرابـع.انظـر إصحاح 13: 3 و21: 20 وغير ذلك كثير.

هذا وقلة معرفة الواقفين للمسيح لأنه كان من مدينة غير مدينتهم (راجع يوحنا ص7) وشدة شبه يهوذا به وعدم طروء أي شيء في ذلك الوقت يشككهم فيه – كل ذلك جعلهم يوقنون أن المصلوب هو المسيح، حتى إذا شاهد القريبـون منـه تفاوتًا قليلا في خلقته حملوه على تغير السحنة الذي يحدث في مثل هذه الحالة ومن مثل هذا العذاب. وكم في علم الطب الشرعي من حوادث ثابتة اشتبه فيها بعض الناس بغيرهم حتى كان منهم من عـاشر امـرأة غـيره الغائـب بـدعوى أنـه هـو وجازت الحيلة على الزوجة والأهل والأقـارب والمعـارف وغـيرهم ثـم عرفـت الحقيقة بعد ذلك، وأمثال هذه الحوادث مدونة في كتب هذا العلم في باب تحقيـق الشخصية: (Identification) فليراجعها من شاء.

ومنهم من شابه غيره حتى في آثار الجروح والعلامات الأخرى واللهجة في الكلام (راجع الفصل الأول من كتاب أصول الطب الشرعي لمؤلفيه جاي وفرير الإنكليزيين).

فلا عجب إذن إذا خفيت حقيقة المصلوب عن رؤساء الكهنة والعسكر وغيرهم وخصوصًا لأنهم ما كانوا يعرفونه حق المعرفة ولذلك أخذوا يهوذا ليدلهم عليه كما سبق فاشتبه عليهم الأمر كما بيَّنَّا وكان المصلوب هو يهوذا نفسه الذي دلهم عليه فوقع كما كان دبره لسيده (انظر مز 6: 8–10 و7: 5 ومز37 وأمثال 11: 8 و21: 18).

ولما كان المساء جاء رجل يسمى يوسف فأخذ بجسد المصلوب ووضعه في قبر جديد وقريب ودحرج عليه حجرًا وكان هذا الرجل يؤمن بالمسيح ولكن سريا (يو 19: 38)

ومن ذلك يعلم أنه ما كان يعرف المسيح معرفة جيدة تمكنه من اكتشاف الحقيقة وخصوصًا بعد الموت، فإن هيئة الميت تختلف قليلا عما كانت وقت الحياة لا سيما بعد عذاب الصلب، وروى الإنجيل الرابع وحده أن رجلا آخر يدعى نيقوديموس ساعد يوسف في الدفن أيضا (19: 39) وكان هذا الرجل عرف يسوع من قبل وقابله مرة واحدة في الليل (يو 3: 1–13) فمعرفته به قليلة جدًّا وكانت ليلا منذ ثلاث سنين تقريبًا أي في أوائل نبوته، وفي كتب الطب الشرعي والمجلات الطبية عدة حوادث خدع فيها الإخوان والأقارب بجثث موتى

آخرين (راجع كتاب الطب الشرعي المذكور صفحة 32 منه) فما بالك إذا لم يكن الشخصان الدافنان للمصلوب يعرفانه حق المعرفة كما بينا.

لذلك اعتقد جمهور الناس وقتئذ أن المسيح صلب ومات ودفن فحزن تلاميذه وأتباعه حزنًا شديدًا وفرحت اليهود وشمتوا بهم ولو أمكن التلاميذ إحياءه من الموت لفعلوا ففكر منهم واحد أو اثنان في إزالة هذا الغم الذي حاق بهم وما لحقهم من اليهود من الشماتة والاحتقار والذل فوجد أن أحسن طريقة لإزالة كل ذلك ولإغاظة اليهود أن يسرق جثة المصلوب من القبر ويخفيها في مكان آخر ليقال إنه قام من الأموات ولم تفلح اليهود في إعدامه إلا زمنًا قليلا وهكذا فعل وأخفى الجثة.

فلما مضى السبت الذي لا يحل فيه العمل لليهود جاءت مريم المجدلية إلى القبر فجر يوم الأحد فلم تجد الجثة فدهشت وتعجبت وأسرعت إلى بطرس (ويقول الإنجيل الرابع كما هي عادته: إلى يوحنا، أيضا) وأخبرتهما أن الجسد فُقد من القبر فذهبا معها ووجدا كلامها صحيحًا فقالا: لا بد أنه قام من الموت، وهذا القول هو أقرب تفسير يقال من تلاميذ المسيح المحبين له المؤمنين به وربما كانا هما المُخفين للجثة أو أحدهما (بطرس) ولذلك نجده في سفر الأعمال وفي الرسائل يتكلم أكثر من يوحنا عن قيامة المسيح بل أكثر من جميع التلاميذ الآخرين.

أما مريم المجدلية فمكثت تبكي لعدم وجود الجثة وعدم معرفتها الحقيقة وكانت عصبية هستيرية، وبتعبيرهم: كان بها سبعة شياطين (مرقص 16- 9) فخيل

لها أنها رأت المسيح ففرحت وأسرعت وأخبرت التلاميذ (يو 20: 18) أنها رأته وأما النساء الأخريات اللاتي ذهبن إلى القبر فلم يرينه كما يفهم من أنجيل مرقص و لوقا، وغاية الأمر أنهن رأين القبر فارغًا وبعض الكفن الأبيض باقيًا فخيل لبعضهن - وكلهن عصبيات - أن ملكًا كان واقفًا في القبر وأمثال هذه التخيلات الخادعة كثيرة الحصول للناس وخصوصًا للنساء عند القبور وفي وقت الظلام (يو 20: 1) وما حادثة قيام المتبولي من قبره عند عامة أهل القاهرة ببعيدة. ويجوز أنهن رأين رجلين من أتباع المسيح ممن لا يعرفنهم وكانا هما السارقين للجثة ففزعن منهما وغشاهن حتى ظنن أنهما ملكان بثياب بيض (انظر لو24: 4) فكثرت أحاديث هؤلاء النسوة كل منهن عمَّا رأته ومنها نشأت قصص الأناجيل في قيامة المسيح كما نشأت الحكايات الكثيرة المتنوعة عن قيامة المتبولي في هذه الأيام في مصر [7] ولذلك اختلفت قصة القيامة في الأناجيل اختلافًا

[7] جاء في العدد 7174 من جريدة المقطم الصادرة في يوم الخميس 31 أكتوبر سنة 1912 - 20 ذي القعدة سنة 1331 ما يأتي بالحرف الواحد (ورد على محافظة العاصمة اليوم إشارة تليفونية بحدوث تجمهر كبير وهياج عظيم أمام الكنيسة الجديدة التي ينشئها النزلاء اليونانيون في هذه العاصمة وأن أكثر المجتمعين يرمون بالحجارة العساكر الاحتياطية الذين أرسلهم قسم بولاق لحفظ النظام وأن بعضهم أصيب بجراح. فذهب في الحال سعادة هارفي باشا ومعه قسم من بلوك الخفر وقسم كبير من بلوك السواري وجناب البكباشي آرثر المفتش ببوليس العاصمة وحضرة عبد الرحمن أفندي أحمد المفتشين بالحكمدارية إلى مكان الحادثة ولما رأى كثرة الجموع المتألبة في ذلك المكان أمر بإحضار وابور المطافي ثم أطلقت المياة منه عليهم فتشتتوا ووقفوا جماعات جماعات رجالا ونساء في أماكن بعيدة وجعلوا يصيحون (يا متبولي يا متبولي) ثم حضر إلى مكان الحادثة سعادة إبراهيم باشا نجيب محافظ العاصمة وعزتلو على بك وكيلها وشهد الإجراءات التي اتخذها البوليس لتشتيت المجتمعين. وكان السبب في هذا التجمهر والهياج أن بعض الموسوسين من سكان جهة المتبولي أشاع أمس الساعة الثامنة مساء أنه رأى الشيخ المتبولي المدفون في ضريحه المعروف أمام محطة مصر قد قام من ضريحه ووقف على قبته ثم طار في الفضاء ونزل على الكنيسة اليونانية التي تقدم ذكرها فتناقل الناس هذه الإشاعة واجتمع خلق كثير في نحو الساعة العاشرة مساء أمام الكنيسة وجعلوا

عجيبًا يدل على أن كل كاتب أخذ ما كتب عما حوله من الإشاعات والروايات المختلفة التي لم تكن وقتئذ مرتبةً ولا منظمةً.

ويظهر من هذه الأناجيل أن التلاميذ بعد ذلك صاروا محاطين بالوساوس والأوهام من كل جانب حتى إنهم كانوا كلما لاقاهم شخص في الطريق واختلى بهم أو أكل معهم ظنوه المسيح ولو لم يكن يشبهه في شيء ظنًّا منهم أن هيئته تغيرت (مر16: 12 ولوقا 24: 16 ويو21: 4-7) فكانت حالهم أشبه بحال العامة من سكان القاهرة الذين التفوا منذ زمن قريب حول رجل سائر في الطريق في صبيحة إشاعة انتقال المتبولي من قبره يصيحون: سرك يا متبولي، كما نقلناه هنا عن بعض جرائد العاصمة التي ذكرت تلك الحادثة في ذلك الحين لاعتقاد الناس أنه هو المتبولي الذي قام من قبره وكانوا يعدون بالمئات إن لم يبلغوا الألوف ولا يبعد أن بعض أولئك الناس الذين لاقاهم التلاميذ كان

يصيحون (سرك يا متبولي) فحضر حضرة مأمور القسم وبعض العساكر وفرقوهم ثم حدث في الساعة الثامنة من صباح اليوم أن مجذوبًا من سكان قسم بولاق وهو رجل في السبعين من عمره يدعى فارس إسماعيل وأصله من أسيوط وقد حضر إلى مصر منذ خمسين سنة - خرج من منزله لابسًا عمامة وملابس خضراء وأخذ يركض في الشوارع ويصيح فيها: أنا المتبولي أنا المتبولي، فاجتمع خلفه خلق كثير وساروا في موكب من بولاق إلى شارع الدواوين وكانوا جميعًا يصيحون: يا متبولي، ويلثمون يده وملابسه وما زالوا سائرين كذلك إلى المسجد الزينبي حيث دخل الرجل فتبعه الناس وازدحم الميدان بالمتجمهرين فقام حضرة الصاغ على شكري أفندي مأمور القسم وقبض على الرجل وأحضره إلى الحكمدارية، أما الجماهير التي كانت تسير معه فقصدت الكنيسة اليونانية وأفضى ذلك إلى تلك المظاهرة التي فرقها رجال البوليس) ذكرنا هذه الحادثة المضحكة ليعلم القارئ مبلغ تأثير الوهم والإشاعات الكاذبة في عقول العامة والجهلة من الناس وخصوصًا النساء، بل قد يتسلط الوهم على بعض العقلاء حتى يروا ما لا حقيقة له، فاقرأ بعد ذلك قصة قيامة المسيح من الموت وما حدث للنساء اللاتي ذهبن إلى قبره. هذا إذا صح أن هذه القصة ليست ملفقة من أولها إلى آخرها وأنها في الأصل كانت كما رويت في هذه الأناجيل الحالية، على أن التلفيق ثابت عليهم فيها راجع (ص76) من كتاب (دين الله).

بلغهم الإشاعات عن قيامة المسيح فكانوا يضحكون من التلاميذ ويسخرون بهم ويأتون من الأعمال والحركات ما يوهم التلاميذ أن ظنهم فيهم هو صحيح كما كان ذلك الرجل السابق ذكره يقول للناس لما رآهم التفوا حوله: أنا المتبولي أنا المتبولي.

وروى الدكتور كاربنتر في كتابه (أصول الفسيولوجيا العقلية) ص **207** أن السير والترسكوت (Walter Scott Sir) رأى في غرفته وهو يقرأ صديقه اللورد بيرون (Byron Lord) بعد وفاته واقفًا أمام عينيه فلما ذهب إليه لم يجد شيئًا سوى بعض ملابس وهي التي أحدثت هذا التخيل الكاذب (Illusion) وفي حريق قصر البلور (Crystal Palace) في سنة **1866** خيل لكثير من الناس أن قردًا يريد الفرار من النار بتسلقه على قطع حديدية كانت في سقف هناك والناس وقوف يشاهدون هذا المنظر متألمين، ثم اتضح أنه لم يكن ثم قرد مطلقًا وإنما هو منظر كاذب كما حكاه الدكتور تيوك (Dr. Tuke) وذكر الدكتور هبرت (Dr. Hibbert) في مقال أن جماعة كانوا في مركب فشاهدوا أمامهم طباخًا لهم يمشي وكان مات منذ بضعة أيام فلما وصلوا إليه وجدوا قطعةً من خشب طافية على سطح الماء، وهناك أمثلة أخرى عديدة كهذه يعرفها المطلعون على علوم الفسيولوجيا والسيكولوجيا والأمراض العقلية وكان المخدوعون فيها عدة أشخاص.

ويدخل في هذا الباب (باب الخيالات الكاذبة والأوهام) دعوى القبط في مصر أنهم في ثاني يوم لعيد النيروز (أي 2 توت من السنة القبطية) إذا نظروا إلى جهة الشرق بعد طلوع الشمس بقليل رأوا رأس يوحنا المعمدان كأنه في طبق والدم

يسيل من جوانبه وقد أكد لي بعضهم، وهو من الصادقين عندي، أنه رأى ذلك المنظر بعيني رأسه في الأفق وكثير من نسائهم يقلن أنهن رأينه أيضا.

ومن ذلك أيضا ما كان يراه القدماء وخصوصًا النصارى في أوروبا في القرون الوسطى وقت ظهور ذوات الأذناب في السماء كالذي ظهر عندهم سنة 1556 ميلادية فإنها رأوا فيه وفي غيره سيوفًا من نار وصلبان وفرسان على الخيل وغزلان وجماجم قتلى إلخ إلخ، وكانوا يتشائمو من هذه المناظر وينزعجون منها، وقد رسم بعضهم صور ما كانوا يرونه من ذلك ونشر في كتبهم راجع كتاب (الفلك للعاشقين) تأليف كاميل فلامريون ص 187 و189.

ورأى اليهود قبل خراب أورشليم نحو ذلك أيضا في السماء كمركبات وجيوش بأسلحتها تركض بين الغيوم حتى تشائموا منها كثيرًا، وفي عيد الخمسين لما كان الكهنة داخلين ليلا في دار الهيكل الداخلي سمعوا صوتًا كأنه صوت جمع عظيم يقول: دعنا نذهب من هنا. إلى غير ذلك من الأوهام والخيالات التي وصفها مؤرخهم الشهير يوسيفوس في بعض كتبه وذكرها أيضا تاسيتوس مؤرخ الرومان وهي أوهام لم تخل أمة من مثلها في كل زمان ومكان، وقد تظهر أيضا مناظر عجيبة كهذه في الأفق من انكسار أشعة الشمس في طبقات الهواء (Mirage) راجع كتاب (الرسل) لرينان ص 42 في رؤية المسيح في الجليل بعد صلبه.

أما دعوى الإنجيل الأول (متى) أن حراسًا ضبطوا القبر وختموا عليه (27: 66) فهي كما قال العلامة (أرنست رينان) اختراع يراد به الرد على اليهود الذين ذهبوا إلى القول بسرقة الجثة حينما أكثر النصارى من القول بالقيامة بعد المسيح بمدة (انظر مت 28: 15) ولذلك لم ترد قصة حراسة القبر في الأناجيل الأخرى، ولو كانت حقيقية لما تركوها فهي الرد الوحيد الذي أمكن لكاتب الإنجيل الأول أن يبتكره لدفع ما ذهب إليه اليهود في ذلك الزمان. وزد على ذلك أن هذا الإصحاح (27) من إنجيل متى قد اشتمل على غرائب أخرى كانفتاح القبور وقيام الراقدين من الموت ودخولهم المدينة، إلخ إلخ (27: 51 - 54) وكل هذه أشياء يراد بها التهويل والمبالغة، ولا يخفى على عاقل مكانها من الصحة ولذلك رفضها المحققون من علماء أوروبا اليوم. ولو وقعت لكانت أغرب ما رأى الناس ولتوفرت الدواعي على نقلها فنقلها كتبة الأناجيل كلهم ممن اعتمدت الكنيسة أناجيلهم ومن غيرهم ولاشتهرت فنقلها المؤرخون كيوسيفوس وغيره.

ولا ندري متى قال المسيح لليهود أنه سيقوم في اليوم الثالث؟ ولماذا يظهر نفسه لهم؟ وما فائدة هذا الجسد المادي الذي كان يحتاج للأكل والشرب بعد القيامة (لو 24: 41 و42) حتى يحيا بعد الموت ويبقى إله العالمين مقيدًا به إلى الأبد؟ نعم ورد في إنجيل يوحنا أنه قال لليهود (2: 19): انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه. ولكن نصت هذه الأناجيل على أن اليهود لم يفهموا هذا القول بل ولا تلاميذ المسيح أنفسهم (انظر لوقا: 18: 34، ويو 2: 21 و22 و20: 9

ومر 9: 32) وقد كذب هذه العبارة متى نفسه فقال: إنها شهادة زور (26: 60 و61) فكيف إذًا أرسل اليهود كما قال متى حراسًا ليضبطوا القبر خوفًا من ضياع الجثة؟ وأي شيء نبههم إلى ذلك العمل مع أن أقوال المسيح لم يفهمها نفس تلاميذه إذا صح أنه قال هذه العبارة أو غيرها؟ أما قوله لليهود (متى 12: 40: لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال) قد قال فيه بعض محققيهم مثل بالس و شاتر إنه زيادة من كاتب الإنجيل للتفسير. وهي زيادة خطأ فلم يمكث إلا يومًا وليلتين ولذلك لم ترو هذه الزيادة في إنجيل من الأناجيل الأخرى، وقول متى 12: 39: ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي. يريد به أنه كما آمن أهل نينوى بيونان (يونس) من غير أن يروا منه آية كذلك كان الواجب أن تؤمنوا بي بدون اقتراح آيات وبدون عناد، ولذلك قال بعد ذلك 41: رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان هنا. وفي القرآن الشريف نحو ذلك أيضا

﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾

يونس: ٩٨

وعلى كل حال، إذا كان نفس تلاميذه لم يفهموا ذلك إلا بعد قيامته (يو 20: 9) مع أنه كان أخبرهم به أيضا على انفراد (مت 20: 17) فكيف فهمه اليهود قبلهم؟ وكيف لم يصدق التلاميذ قيامته حينما أُخبروا بها؟ (مر 16: 11) إذا

صح أن المسيح أنبأهم بها من قبل؟ وكيف يعقل أن رؤساء الكهنة والفريسيين يذهبون إلى بيلاطس في يوم السبت كما قال متى (27: 62) وينجسون أنفسهم بالدخول إليه وبالعمل في السبت كضبط القبر بالحراس وختم الحجر (مت 27: 66) مع أنهم هم الذين لم يقبلوا الدخول إلى بيلاطس يوم محاكمة المسيح خوفًا من أن ينجسوا أنفسهم فخرج هو إليهم كما قال يوحنا (18: 28) وهم الذين سألوه إكرامًا للسبت أن لا تبقى المصلوبون على الصليب فيه (يو 19: 31) فما هذا التناقض وما هذه الحال؟

ولنرجع إلى ما كنا فيه: وقد اعتقد جمهور الناس في ذلك الوقت أن المصلوب هو المسيح وأنه قام من الموت ولما لم يجدوا يهوذا الإسخريوطي قالوا: إنه انتحر بشنق نفسه. وربما أنهم بعد بعض الأيام وجدوا خارج أورشليم في بعض الجبال جثة مشقوقة البطن من التعفن الرمي فظنوها جثته (ع 1: 18) ويجوز أنها كانت جثة المسيح نفسه على القول بأنه مات بعد هروبه من السجن كباقي الناس، ولم يرفع إلى الله تعالى إلا رفعًا روحانيًّا معنويًّا كقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ١٧٦

وكقوله:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ فاطر: ١٠

وقوله:

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ البقرة: ٢٥٣

وفي معنى ذلك أيضا قوله تعالى:

﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ الصافات: ٩٩

وقوله:

﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ القمر: ٥٥

وقوله:

﴿ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ آل عمران: ١٦٩

وغير ذلك كثير.

ولما كان بعض التلاميذ يستبعدون الموت على المسيح لشدة حبهم وتعظيمهم له، كما فعل بعض الصحابة عقب موت رسول الله - ذهب بعضهم بالرأي والاجتهاد إلى أن المصلوب لا بد أن يكون غير المسيح وقالوا إنه إما يهوذا أو واحد آخر وخصوصًا لأنهم لم يعلموا أين ذهب يهوذا.

ومن ذلك نشأت مذاهب مختلفة بين النصارى الأولين في مسألة الصلب والقيامة، كانت أساسًا لفرق كثيرة ظهرت بعدهم ذكرناها مرارًا سابقًا في المنار وغيره مما كتبنا. لذلك قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾ النساء: ١٥٧

فساد مذهب القائلين بالصلب لأنه هو الظاهر مما شوهد إذ ذاك وساعد على نشره القول بالقيامة ودعمه بولس ومن وافقه بنظرياتهم في الخلاص [8] والفداء

---

[8] إذا صحت عقيدة النصارى في الصلب والخلاص المبشر به فلماذا لم يقتل المسيح نفسه أو يطلب من تلاميذه أن يقتلوه قربانًا لله بدلا من أن يوقع اليهود في هذا الإثم العظيم؟ فكأن الله تعالى بعد أن دبر هذه الوسيلة لخلاص الناس من سلطة الشيطان لم يقدر أن يخلص بها أحب الشعوب إليه المفضلين على العالمين الذين - خصهم كما يقولون - بالوحي والنبوة والمعجزات العظيمة من قديم الزمان ولم يعتنِ بأحد غيرهم اعتناءه بهم حتى جعلهم الواسطة الوحيدة لهداية البشر أجمعين إلى دينه الحق؟! أما كان هؤلاء الناس أولى بالخلاص دون سواهم؟ فلماذا إذًا أوقعهم في هذا الذنب العظيم بصلبهم المسيح بدون إرادته، مع أنه كان يمكنه أن يقدم ابنه هذا البريء بدون إيقاعهم في هذا الإثم الكبير؟! ألا يدل ذلك - لو صح - على أن الشيطان قد نجح في إهلاك أحباب إلههم وشعبه المختار وعجز هذا الإله عن تخليصهم من مخالبه بعد أن فكر في ذلك مدة طويلة، ثم صلب نفسه، ومع ذلك لم تنجح حيلته!! فوا أسفا على هذا الإله الضعيف الذي غلبه الشيطان وجعله يندم على خلقه الإنسان ويحزن (تك 6: 6 و7) وأوقعه في الحيرة والارتباك من قبل ومن بعد الطوفان تك (8: 21 و22 و11: 6 و7) إلخ إلخ وما أغناه عن هذا كله لولا حُبه في سفك الدماء كثيرًا (قض 11: 29 - 40) حتى سفك دم نفسه وقاده الشيطان إلى هذا الانتحار (تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا) وجاءه من قبل ذلك مجربًا وممتحنًا ليسجد له ليكفر (مت 41: 10) ولم يكتف بذلك - على حسب زعمهم - بل أصاب ويصيب عباده بالصرع وأنواع الشلل والبكم والصمم والجنون والعتاهة وغير ذلك من الأمراض التي تنسبها إليهم كتبهم إلى تأثير الشيطان ولا يقدرون للآن على تخليص الناس من شره وسلطانه، فما أعظمه عندهم من لعين قادر حتى قهر العالمين وإلههم!! فمن منهما سحق الآخر على ما يقول سفر التكوين (3: 15) (سبحان الله رب العزة عما يصفون) وإذا صح أن المسيح ادعى الألوهية بين اليهود (يو 8: 58 و10: 30 و33) فأي ذنب عليهم في قتله وهم لم يفعلوا شيئا سوى تنفيذ ما أمرهم الله تعالى به على لسان موسى؟! قال في سفر التثنية (13: 1) إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة 2ولوحدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلا: لنذهب وراء آلهة أخرى لم نعرفها ونعبدها، إلى قوله: وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يُقتل) فإذا كان الله يعلم أن المسيح سيدَّعى الألوهية ويدعو الناس لعبادته، فلماذا وضع هذا الحكم في الشريعة الموسوية؟ ولَمَّا أنفذه اليهود إطاعة له كرههم وغضب عليهم!! فلمَ هذا التضليل ولمَ هذا الظلم؟ فمقتضى عقيدة النصارى أن الله تعالى عاجز جاهل، ولذلك ما كان يعلم المستقبل، وكان كما يقول سفر التكوين: يضطر للنزول ليشاهد بنفسه أعمال البشر (تك 11: 5 و6 و18: 21) التي أغضبته وجعلته يندم ويحزن. فكأنه ما كان يعلم ماذا يصير إليه أمر الإنسان، ولذلك ترى أنه بعد أن دبر طريقه الخلاص ومات صلبًا لم

وببعض نصوص من العهد القديم لووها وأولوها بحسب أوهامهم وأفكـارهم وقد بينا بطلانها في كتاب (دين الله) وقد رفض بولس هذا وجميع رسـائله أقـدم فرقهم القديمة كالبيونيين (Ebionites) وكانوا أقـرب النـاس إلى تعـاليم المسيح الحقيقية وغاية في الزهد والتقوى وكـان عنـدهم إنجيـل متـى العـبراني الأصـلي المفقود الآن.

ومن الجائز أن يوسف ونيقوديموس (إذا صح أنه حضر معه) كانا يخافـان عـلى الجثة من اليهود أن يهينوها أو يمثلوا بها أو يتركوها للحيوانات المفترسة كالمعتـاد أو نحو ذلك زيادة في النكاية بالمسيح وأتباعـه وكـما كـان يعمـل في المـصلوبين بحسب عادة الرومان، فتظاهرا بأنهما قد أتما دفن الجثة ومـضيا. فلـما تحققـا أنـه لم يبق عند القبر أحد مطلقًا خوفًا من أن يطلع على مـا يفعـلان رجعـا ونقلاهـا إلى موضع آخر لا يعلمه أحد، وتعاهدا عـلى أن لا يبـوح أحـد بـسرهما، ثـم ذهـب يوسف إلى بلدتـه الرامـة عـلى بعـد 6 أميـال إلى الـشمال مـن أورشـليم ورجـع نيقوديموس إلى بيته وكلاهمـا كـان عـضوًا في الـسنهدريم مجمـع اليهـود وكانـا يؤمنان بالمسيح ولكن سرًّا لخوفهما من اليهود (يو 19: 38 و7: 50) وربما أنهما لم يجـاهرا اليهـود بـشيء حتـى ولا بـأنهما همـا اللـذان دفنـا الجثـة وخـصوصًا نيقوديموس، ولذلك لم تذكره الأناجيل الثلاثة الأول، وربما قال يوسف لليهـود تعميةً لهم: إني بعد أن استلمت الجثة وكفنتها سلمتها لغيري ممن حـضر ليـدفنها وتركته ولا أعلم باليقين أيـن وضـعها ولا أعـرف اسـمه. وخـصوصًا لأن كـل

يُخلِّص من البشر إلا قليل بالنسبة لمجموعهم، وأَهْلَكَ بسبب ذلك أفضل أمة عنده (تَعَـالَى اللهُ عَـمَّا يَقُـولُ الظَّـالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا).

الجموع الذين كانوا حاضرين الصلب كانوا قد رجعوا إلى منازلهم كما قال لوقا (23: 48) ولم يبق وقت الدفن أحد يشاهدهما إلا مريم المجدلية و مريم أم يوسي (مر 15: 47 ومت 27: 61) ولا ندري إذ صح ذلك كيف أرادتا العودة إلى القبر لتحنيط الجثة مع أنهما شاهدتا يوسف ونيقوديموس يحنطانها كما تقول الأناجيل؟ (يو 19: 39 و40) وقال كيم أحد علماء الإفرنج في كتابه (يسوع الناصري) مجلد 3 ص 552: إنه لا يحرم على أحد من اليهود في يوم السبت أن يقوم بالواجب نحو جثة الميت كالتحنيط والتكفين ونحوهما. فلا يفهم أحد ما الذي أخر هؤلاء النسوة عن الذهاب إلى القبر يوم السبت والقيام بما يردن عمله للمسيح فيها. انظر كتاب دين الخوارق ص 826 وهل لم يكفهن الحنوط العظيم الذي أحضره نيقوديموس (يو 19: 39) حتى اشترين غيره (م16: 1) ولكن لنتغاض.

وبعد السبت في فجر يوم الأحد جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى إلى القبر الذي كانتا شاهدتا الجثة وضعت فيه أولا (متى 28: 1) فلم تجداها فكان ما كان من إشاعة قيامة المصلوب من الموت، هذا إذا لم نقل إنهما ضلتا عن القبر بسبب شدة الحزن والبكاء والتعب والظلام، وكثيرًا ما تضل نساء مصر مثلا ورجالها عن معرفة قبورهم حتى بعد التردد عليها مرةً أو مرتين كما هو مشاهد معروف ولذلك لم يعرف علماؤهم موضع هذا القبر باليقين إلى اليوم.

ولما انتشرت إشاعة القيامة كانت قاصرةً على التلاميذ وأتباع المسيح فقط في أورشليم (لو 24: 33) ولم يقدروا على التجاهر بها أمام اليهود في أول الأمر

ولذلك كانوا يجتمعون والأبواب مغلقة لئلا يسمع كلامهم اليهود خوفًا منهم كما قال يوحنا (20: 19) وكانوا على هذه الحالة إلى ثمانية أيام (يو 20: 26) ثم لم يجسروا على المجاهرة بالدعوة إلى دينهم إلا بعد نحو خمسين يومًا كما في سفر الأعمال (2: 1) وفي هذه المدة على فرض عثور أحد على الجثة لا يمكن تمييزها عن غيرها بسبب التعفن الرمي.

ودعوى إيمان ثلاثة آلاف نفس من اليهود في يوم الخمسين يكذبها عدم وجود بيت للتلاميذ يسع كل هذا العدد فإنهم كانوا نحو 12 رجلا (أع 1: 15) واليهود الذين تنصروا نحو ثلاثة آلاف (أع 2: 41) ولا ندري عدد الذين لم يتنصروا من اليهود الذين حضروا الاجتماع في أورشليم من كل أمة تحت قبة السماء كما قال سفر الأعمال (2: 6 – 13) الذي قال أيضا إن هذا الاجتماع العظيم كان في بيت (2: 2) فأين هذا البيت وملك مَن مِن التلاميذ وكلهم من الجليل (أع 2: 7)؟

ومن الذي أخبر كل هذه الجماهير من جميع الأمم المتنوعة بما هو حاصل في بيت التلاميذ الخاص من نزول روح القدس عليهم وتكلمهم بألسنة مختلفة حتى هرعوا إليه صنفًا صنفًا؟ ولماذا لم يكتب التلاميذ الأناجيل والرسائل بلغات العالم هذه التي عرفوها ليتيسر للناس قبولها بدون ترجمة؟ وتكون معجزة باقية إلى الأبد؟ ولماذا كان بطرس محتاجًا لمترجمه مرقس إذًا؟ كما رواه بابياس وصدقه جميع آباء الكنيسة القدماء، ولكن لنرجع إلى ما كنا فيه.

وذهب جماعة من علماء النقد في أوربا وكثير ما هم إلى أن القبر الذي وضع فيه المصلوب وكان منحوتًا في الصخر أصابه ما أصاب غيره من الزلزلة التي حدثت في ذلك الوقت وذكرها متى في إنجيله (28: 2) فتفتحت بعض القبور وزالت بعض الصخور وتشققت (راجع أيضا مت 27: 51 و 52) فضاع بسبب ذلك الجسد المدفون في شق من الشقوق، ثم انطبق وانهال عليه شيء من التراب والحجارة حتى انسد الشق ولم يقف أحد للجثة على أثر.

وكان ذلك قبيل وصول المرأتين إلى القبر فلما وصلتا إلى هنالك ولم تجدا الجثة ورأتا آثار الزلزلة أو شعرتا بشيء منها فزعتا وظنتا أن ذلك بسبب نزول الملائكة وقيام المسيح من القبر (مت 28: 2) وقد أخذت الرعدة والحيرة منهما كل مأخذ حتى لم تقدرا على الكلام (مر 16: 8) ولا يستغربن القارئ ما ذكر ففي وقت الزلازل كثيرًا ما تنفتح الأرض وتبتلع بعض أشياء ثم تنطبق عليها.

ووقوع هذه الزلزلة قبيل وصول المرأتين إلى القبر من المصادفات التي حدثت في التاريخ أعجب منها فقد كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن رسول الله حتى ظنت الصحابة أن ذلك معجزة للنبي فقال عليه السلام لهم: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته) الحديث، يعني أن نظام هذا الكون العظيم لا يتغير لموت أي أحد في هذه الأرض الصغيرة الحقيرة، فيالله ما أصدقه من رسول، ولو كان كغيره من الكذابين لفرح بما قاله أصحابه وثبت اعتقادهم فيه.

ومن أعجب المصادفات التاريخية أن قمبيز ملك الفرس طعن العجل أبيس في فخذه فقتله استهزاءً بالمصريين وإلههم وبينما هو سائر في طريقه سقط سيفه على فخذه أيضا فجرحه جرحًا بليغًا ساقه في الحال إلى الموت فظن المصريون أن ذلك بسبب فعل آلهتهم به، فما أعجب عقل الإنسان وما أغرب كثرة ميله إلى الأوهام والخرافات.

وإذا تذكرنا أن ذلك القبر كان منحوتًا في الجبل في مكان خراج أورشليم بقرب الموضع المسمى بالجمجمة وكان مدخل مثل هذا القبر أو الكهف من الجهة السفلى كما كانت عادة الناس في ذلك الوقت في نحت القبور على ما ذكره رينان وغيره، فمن الجائز أن الزلزلة أزالت الحجر الذي سد به هذا القبر فدخلت بعض الحيوانات المفترسة كالسبع أو الضبع ونحوهما وأخذت الجثة وفرت بها، وهو تعليل آخر معقول.

وقال بعض علماء الإفرنج: إن من عادة اليهود أن لا يضعوا هذا الحجر على باب القبر إلا بعد مضي ثلاثة أيام من الدفن، فإن صح ذلك فلا داعي للقول بهذه الزلزلة هنا في هذا الوجه.

والخلاصة أن ضياع الجثة لا دليل فيه على هذه القيامة وخصوصًا لأن المسيح لم يظهر لأحد من المنكرين له مع أنه كان وعدهم بذلك حسب إنجيل متى (12: 39 و40) وفضلا عن ذلك فليس بين تلاميذه وأتباعه من رآه في وقت عودة الحياة إليه وقيامه من القبر؛ فإن ذلك كان أولى بإقناع الناس وإقناع تلاميذه الذين بقي بعضهم شاكًّا حتى بعد ظهوره لهم (مت 28: 17 ولو24: 38 ت41

ويو20: 27) مع أن اتباع هذه الطريقة كان أقرب وأسهل في الإقناع وأبعد عن مثل الشبهات التي ذكرناها.

فإن قيل إن ذلك سيكون ملجئًا للإيمان وهو ينافي الحكمة الإلهية، قلت: وهل إحياء المسيح للموتى أمام الناس ما كان ملجئًا ولا منافيًا للحكمة الإلهية؟! وكذلك قيام أجساد القديسين الراقدين ودخولهم المدينة المقدسة على ما ذكره متى؟ (27: 52 و53) فأي فرق بين هذه الآيات البينات والمعجزات القاطعة، وبين قيامته هو من الموت؟ فكيف يجب على البشر الإيمان بها وهي قابلة للشك والطعن؟ حتى من أتباعه الذين ملأوا الدنيا بكتبهم المشككة في هذا الدين وعقائده، وحتى شك فيها التلاميذ أنفسهم (متى 28: 17) من قديم الزمان.

ولنا أن نسأل هنا الأسئلة الآتية:

1. إذا كان المسيح أخبر تلاميذه بأنه بعد قيامته سيسبقهم إلى الجليل وأمرهم بالذهاب إلى هناك لكي يروه (مت 26: 32 و28: 10 ومر 16: 7) فلماذا إذًا ظهر لهم في أورشليم كما يقول لوقا ويوحنا في نفس اليوم الذي قام فيه؟ (لو 24: 36 و37 ويو20: 19).

2. ما الحكمة في إرسالهم إلى الجليل ليروه هناك مع أنه ظهر لهم مرارًا في أورشليم (أع 1: 3) وما الداعي إلى ذلك، وهو الذي أمرهم أن لا

يبرحوا أورشليم حتى يحل عليهم روح القدس؟ (لو 24: 49 وأع 1: 4).

3. هل ظهوره لهم في الجليل كان بعد ظهوره لهم في أورشليم أم قبله؟ فإن كان بعده فلماذا شكُّوا فيه؟ (مت 28: 17) بعد أن كان أقنعهم بذلك في أورشليم (لو 24: 39 – 49 ويو 20: 20 و27) وإن كان قبله، فمتى ذهبوا إلى الجليل إذًا مع العلم بأن الجليل يبعد عن أورشليم مسيرة ثلاثة أيام على الأقل، وقد نصت الأناجيل على أنهم رأوه في أورشليم في نفس يوم قيامته من القبر، فهل يعقل أنهم ذهبوا إلى الجليل ورأوه هناك ثم رجعوا في نفس ذلك اليوم؟ وإن كان السبب في الشك أن هيئته كانت تتغير بعد القيامة مرارًا، فلماذا كان ذلك؟ وما الحكمة في هذا التضليل؟ وإذا كانت هيئته قابلة للتغيير والتبديل بعد القيامة وقبلها كما يفهم من الأناجيل (راجع متى 17: 1 – 7 ومر 9: 2 – 8 ولو 9: 28 – 36) وكان له القدرة على الاختفاء عن أعين الناس، والمرور في وسطهم بدون أن يروه والإفلات من أيديهم (يو 8: 59 و10: 39 ولو 4: 30) فكيف إذًا يجزمون بأن اليهود صلبوه وأنهم عرفوه حقيقة وأمسكوه مع أن نفس تلاميذه كانوا يشكون فيه لكثرة تغير هيئته وتبدلها؟ (يو 21: 4) فأيّ غرابة إذا قلنا: إن اليهود لم يعرفوه وأخطأوه كما أخطأته مرة مريم المجدلية وظنته البستاني؟ (يو 20: 15).

4. إذا كان المسيح ظهر لهم في أورشليم يـوم قيامتـه، فلـماذا لم يـأمرهم بنفـسه وقتئذ بالذهاب إلى الجليل بدلا من أن يرسـل إلـيهم هـذا الأمـر بواسـطة النساء؟ (متى 28: 10 ومر 16: 7) ولمـاذا لم يـذكر مَتَّـى هـذا الظهـور، ويذكر ما ينافيه مما سبق بيانـه؟ ألا يـدل ذلـك عـلى أنـه مـا ظهـر لهـم في أورشليم، وإلا لَمَا احتاج لتوسيط النساء بينه وبين تلاميـذه؟ ولم تـرك متَّـى ذكر ذلك، وهو من الأهمية والبعد عن الشك كما يقـول الآخـرون بمكـان عظيم؟ (لو 24: 45 ويو 20: 25).

بقي علينا أن نناقش قصة الصلب هذه من وجوه أخرى:

1. أن الشريعة الموسوية في مثل حالة المسيح كانت توجب الرجم، وليس فيها صلب لأحد وهو حي، وإنما يعلق المقتول على خشبة (تثنية 21: 22).

أما الشريعة الرومانية فكان الصلب فيها للعبيد ولقطـاع الطريـق ونحـوهم مـن أرباب الجرائم الدنيئة، فكيف إذًا صلب المسيح، وعـلى أيِّ شريعـة كـان ذلـك؟ وكيف طلب اليهود صلبه وأنفذه الرومان لهم، وهو ليس موجـودًا في شرائعهـم لمثله؟ وكيف صلب معـه لـصان كـما يـسميهما متَّـى ومـرقس ولـيس في شريعـة الرومان، ولا شريعة اليهود صلب اللصوص؟ لذلك شك بعض العلماء حتى في أصل هذه القصة، ومنهم أيضا من أظهر بالدلائل التاريخية المعقولـة الكـذب أو

المبالغة في بعض قصص اضطهاد النصارى؛ واستشهادهم الكثير في القرون الأولى كما يحكون في تواريخهم.

2. جاء في إنجيل لوقا أن المسيح قبيل القبض عليه قال لتلاميذه (22: 36):
الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترِ سيفًا 38 فقالوا: يا رب هو ذا هنا سيفان. فقال لهم: يكفي 39 وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون، وتبعه أيضا تلاميذه 40 ولما صار إلى المكان قال لهم: صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة 41 وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى 42 قائلا: يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك 43 وظهر له ملاك من السماء يقويه 44 وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض 49 إلى قوله: فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا: يا رب أنضرب بالسيف 50 وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، وعلى هذه العبارة ترد عدة مسائل:

أولا: إن المسيح أمر تلاميذه بشراء السيوف وحملها للدفاع عنه، وأراد واحد منهم أن يقتل عبد رئيس الكهنة، ولكن أصابت الضربة أذنه فقطعتها ولم ينهه المسيح عن ذلك إلا بعد أن أخطأت الضربة الرجل كما يفهم من متَّى (26: 51 و52) فكيف يتفق هذا مع قول الأناجيل عنه أنه أمر تلاميذه بمحبة الأعداء (

مت 5: 44) وأنه قال (مت 5: 39): (من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا). فلماذا لم يعمل هو نفسه بأقواله هذه، وأراد تلاميذه على حمل السيوف للدفاع عنه؟ أم كانت هذه الأقوال السلمية في مبدأ أمره كما يفهم من إنجيل متَّى قبل أن يقوى، فلما قوي قليلا تركها؟ فماذا كان يفعل لو بلغ من القوة مبلغًا يستطيع معه أن يقهر دولة الرومان؟ وبم يفتخر المسيحيون علينا إذًا، ونحن نرى أن المسيح ما دعا إلى السلم إلا وقت ضعفه الشديد؟ ولم يعيبون محمدا لأنه حارب أعداءه، وقد كان حينئذ قويًّا شديدًا؟ أو لا يُفهم من عبارة لوقا هذه أن المسيح هو الذي أشار عليهم بالضرب بالسيف حينئذ، فإنه هو الذي أمرهم بشرائها وحملها معهم؟ نعم إنه لم يصرح بذلك حينما سألوه (أنضرب بالسيف)؟ ولكن كان سكوته إيعازًا خفيًّا خوفًا من اليهود ومن الدولة الرومانية؛ لأن الظاهر أنه كان عنده أمل في النجاة منهم؛ ولذلك لما تم صلبه على زعمهم يئس وقال: (إلهي إلهي لم تركتني؟) (مت 37: 46).

ثانيًا: إذا كان المسيح ابن الله الذي نزل من السماء للموت ليرفع خطيئة العالم، فلماذا أراد الدفاع عن نفسه، ولماذا لم يسلم نفسه لهم طائعًا مختارًا؟ وما معنى هذه الصلاة الطويلة العريضة والإلحاح بطلب النجاة، وما حكمة ذلك يا ترى؟ وهو يعلم أنه لا فائدة من هذا كله ولا بد من صلبه الذي جاء لأجله.

ثالثًا: إذا كان عبيد الله يقدمون أنفسهم للشهادة في سبيله بكـل شـجاعة وثبـات وإقدام، فكيف يمكن أن يجبن (ابن الله) عن مساواتهم في ذلـك حتـى يتـصبب عرقه من شدة الخوف من الموت، وليس في الموت إلا أنه يعود ثانية إلى أبيه، فَلِـمَ كَرِهَ ذلك يا ترى؟ ولِمَ هذا الحزن الشديد كما ذكر متى (26: 37 و38)؟

رابعًا: كيف يحتاج ابن الله الممتلئ من روح القدس إلى ملاك من السماء ليقويه مع أنه في ناسوته يوجد أقنـومين إلهيـين (الابـن، وروح القـدس يـو1: 32) وهمـا متَّحِدان به، فهل هذا الملَك عندهم أقوى من الله؟

خامسًا: هل من العدل عند النصارى أن ينقذ الله المـذنبين - آدم وبنيـه ويـصلب ابنه البريء رغم إرادته وهو يستغيث به فلا يغيثـه؟ فـأين عدلـه ورحمتـه؟ وإذا لم يكن عادلا رحيمًا بابنه، فهل مثل هذا الإله يرحم عبيـده ويعـدل فـيهم؟ ولِمَ هـذا الحب الكثير من إلههم لسفك دم الأبرياء من قديم الزمـان؟ راجـع قـصة يفتـاح الممتلئ من روح الله الذي قتل ابنته الوحيدة البريئة قربانًا لله وذكر الله قصته هـذه في بعض كتبه ولم يزجر أباها ولم يعاقبه على ما فعل، كأن قتلها كان مرضـيًّا عنـده تعالى (قضاة 11: 29 - 40) لأن أباها أصعدها بعد قتلها محرقة له، فلعلـه سُرَّ من رائحتها والنيران تأكل جثتها فلذلك ذكر هذه القصة ولم يذكر مـا ينفـر منهـا ليقتدي الناس بيفتاح هذا. راجع أيضا مقالة القرابين والضحايا في كتابنـا (ديـن الله).

3. يقول إنجيل يوحنا 19: 31 (ثم إذا كان استعداد فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب في السبت؛ لأن يوم ذلك السبت كان عظيمًا، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا 32 فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه 33 وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه؛ لأنهم رأوه قد مات 34 لكن واحدًا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء 36 لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه 37).

وأيضا يقول كتاب آخر: (سينظرون إلى الذي طعنوه). فإذا كانت هذه القصة حقيقية ووقعت لتتميم نبوات قديمة، فكيف لم يشر إليها الثلاثة الإنجيليون الآخرون؟ وليس هذا فقط بل إن عبارة مرقس (15: 42 – 46) تنافي هذه القصة؛ لأن يوحنا (19: 38) يقول: إن يوسف أتى إلى بيلاطس بعد أن أمر بكسر سيقان المصلوبين وبعد أن ماتوا؛ فأذن له بأخذ الجثة؛ فكيف إذًا تعجب بيلاطس (حسب رواية مرقس) من موت المسيح بسرعة حينما جاءه يوسف طالبًا الجسد؟ ولماذا سأل قائد المائة قائلا: (هل له زمان قد مات؟) (مر 15: 44) إذا كان حقيقة أصدر أمره بكسر سيقان المصلوبين ورفعهم كما قال يوحنا؟ فهل بعد هذا الكسر يبقى موضع للعجب؟ ولا يخفى أن المسيح صلب

بين اللصين (يو19: 18) فكيف تخطاه العسكر، وكسروا ساقي الأول والآخـر ولم يكسروا ساقيه بل كسروا الثالث قبله؟

فإن قيل: لأنهم رأوه قد مات. قلت: إذا كانوا متحققين من المـوت فلـماذا طعنـه أحدهم بالحربة في جنبه؟ وإن لم يكونوا متحققـين فـما الـذي أخـرهم عـن كـسر ساقيه بعد صدور الأمر لهم بذلك؟ ولماذا ترددوا في إطاعة الأمر حتى تخطـوه إلى الثالث، وهل من شأن العسكر التردد والتوقف والبحث في مثـل ذلـك؟ مـع أن الأمر صدر لهم صريحًا بكسر سـيقان الجميـع والتعجيـل بمـوتهم ورفعهـم عـن الصلبان إجابة لطلب اليهود من بيلاطس فما الذي أخـرهم عـن تنفيـذ الأمـر في الحال؟ ألا يدل ذلك على أن هذه القـصة مـصطنعة لتطبيـق نبـوات قديمـة عـلى المسيح كما هي عادة كتبة الأناجيل؟ (راجع كتـاب ديـن الخـوارق في الإنكليزيـة صفحة 837 و 838).

وكيف يفسرون خروج الدم منه بعد الموت من الوجهـة الطبيـة، ومـا هـذا المـاء الذي رآه يوحنا خارجًا من جنبه كما يقول إنجيله (19: 34 و35).

4. ذهب بعض علماء الإفـرنج إلى أن المـصلوب لم يمـت؛ لأن مـدة الـصلب كانت ست ساعات على الأكثـر (راجـع مـرقس 15: 25 – 37) وهـي غير كافية للموت بالصلب، فإن المصلوب يموت عادة من يـوم إلى ثلاثـة أيام؛ ولذلك تعجب بـيلاطس مـن هـذه الـسرعة (مـر 15: 44) وقـال بسبب ذلك أوريجانوس وغيره من آباء الكنيسة القدماء: إن موته كان مـن

خوارق العادات؛ وأيضا فإنه لم تسمر إلا يديه فقط وربطت رجلاه؛ ولذلك لم يذكر يوحنا إلا أثر المسامير في يديه ولم يذكر رجليه (يو20: 20 و25 و27) ولم يُرِهما المسيح لتلاميذه بحسب هذا الإنجيل. وأما عبارة لوقا (24: 39 و40) فإنها تحتمل أن المراد بها أنه أراهم يديه ورجليه ليجسوهما؛ ليعلموا أنه جسم حقيقي له لحم وعظم، كما قال؛ ليقنعهم أنه ليس روحًا، وإنما أراهم يديه ورجليه دون سائر جسمه؛ لأنه يسهل كشفهما دون باقي الأعضاء الأخرى، على أن هذه القصة قد ردَّها علماء النقد المحققون (راجع كتاب دين الخوارق في الإنكليزية صفحة 837 و838).

هذا ولم يكن ربط رجلي المصلوب عند الرومانيين وغيرهم بأقل من تسميرهما، إن لم نقل: إنه كان الغالب في الصلب، وفوق ذلك فإن عظامه لم تكسر كما قال يوحنا (19: 36) وأما طعنه بالحربة فلم تذكرها الأناجيل الأخرى، وقصتها مشكوك فيها كما بيَّنا، وإذا صحت فيجوز أن الحربة لم تنفذ إلى داخل الجسم، وتكون فقط قد قطعت الجلد والشحم وبعض العضلات على أن الفعل اليوناني المترجم في الإنجيل بطعن (يو 19: 34) لا يفيد أن الجرح كان غائرًا كما يقول علماء هذه اللغة. ثم إن هذه الحادثة تدل على الحياة أكثر من دلالتها على الموت، فإنه لو كان المصلوب ميتًا لَمَا سال منه دم، فسيلان الدم منه هو أحد الدلائل على أنه كان حيًّا، فبعد أن سال منه جزء من الدم بطل النزف كالمعتاد.

والظاهر أن هذه القصة اخترعت قديمًا لإثبات الموت؛ لجهلهم بعلم الطب إذ ذاك. فلهذه الأسباب كلها قال العلماء: إن المصلوب لم يمت حقيقة وإنما أغمى عليه إغماء شديدًا كما حصل لبولس بعد أن رجم (أع 14: 19 و20) فلما أنزل عن الصليب ودفئ بالكفن والكتان (مت27: 59) واستراح في القبر وانتعشت روحه بالأطياب الكثيرة التي وضعها له نيقوديموس (يو 19: 40) أمكنه أن يقوم ويخرج من القبر، والذي أزال الحجر عن هذا القبر هي الزلزلة التي ذكرت سابقا؛ أو أن مسألة الحجر هذه مخترعة؛ لأن العادة كانت أن لا يوضع هذا الحجر إلا بعد مضي ثلاثة أيام (راجع كتاب دين الخوارق ص 832).

فلما قام المصلوب ومشى قليلا سقط ميتًا بسبب ما تحمَّله من العذاب وانهماك قواه، والجوع والعطش مدة طويلة وآلام الجروح والتهابها أو تعفنها وربما ساعد على ذلك وجود بعض أمراض في أحشائه لم تعلم أو أنه أصابه ذهول فألقى بنفسه من مكان عالٍ أو زلت قدمه فهوى، إلى غير ذلك من الأسباب المحتملة المتنوعة التي تسبب الوفاة في مثل هذه الحالة، ولم يعلم المكان الذي مات فيه؛ فإن القبر كان خارج مدينة أورشليم في بعض جبالها، وبسبب عدم وجود الجثة في القبر نشأت هذه القصص المختلفة عن القيامة.

هذا شيء مما يقال في هذه المسألة، وهو قليل من كثير مما يقوله علماء أوربا الآن في الدين المسيحي حتى إنه ليخيل للإنسان أنه لا يمضي زمن طويل حتى تخرج أوربا كلها عن النصرانية، وليس ذلك بعجيب عند من يعلم أن أكبر العلماء

والمفكرين هناك قد خرجوا الآن فعلا عن هذا الـدين ونبـذوه وراءهـم ظهريًّـا، وألفوا المجلدات الضخمة في إثبات بطلانه وفساد عقائده كلها كما يقولـون. ولا أدري لماذا يفتخر المبشرون بأوروبا وعلمها بين المسلمين مع أنه قل أن يوجد بـين الإفرنج عالم مستقل الفهم والعقل يعتقد بشيء مـن عقائـد النـصرانية، فـالأولى بجماعة المبشرين بدل نشر دينهم خارج أوربا أن يحصنوه في داخلها ضـد غـارات هؤلاء العلماء المحققين، وإلا خرجت أوربا كلها عن المسيحية يومًا مـا، وحينئـذ لا يُجديهم افتخارهم بها وبعلمها ومدنيتها نفعًا.

هذا وإذا وجد في بعض كتابات مؤرخي الوثنيين الأقدمين أن المسيح صلب كـما في تاريخ تاسيتوس (Tacitus) المؤلَّف نحو سـنة **117** ميلاديـة، فـلا يعتـد بقولـه لوجوه:

1. أن يكون تاسيتوس أخذ ذلك مـن الإشـاعات الحاصـلة في ذلـك الوقـت وجمهورها يؤيد ذلك كما قلنا، ولو لاحظنا احتقار تاسيتوس للنـصارى في ذلك الوقت لما استغربنا منه هذا القول الذي صدر منـه بـدون تحقيـق ولا تمحيص لعدم عنايته بهم، فهو كأقوال نصارى أوربا في القـرون الوسـطى في محمـد ودينـه، فقـد كانـت كلهـا مبنيـة عـلى الإشـاعات الكاذبـة والاختلاقات.

ومما يدل على صحة قولنا في تاسيتوس هـذا وغـيره مـن مـؤرخي الـوثنيين أنهـم كانوا يأخذون بالإشاعات والأكاذيب المنتشرة حـولهم ويحشرونها في تـواريخهم بدون تحرٍّ ولا بحث - أنه دَوَّنَ في تاريخ اليهود خرافات عديـدة مـضحكة ظنهـا حقائق ثابتة، كما قالـت دائـرة المعـارف الإنكليزيـة (مجلـد **13** صـفحة **658**) والحق يقال: إن الرومانيين لم يهتموا بالمسيح أدنى اهتمام؛ لأنـه لم يفُـه ببنـت شـفة يفهم منها أنه يريد الخروج عليهم، وكانت كل أعماله قاصرة عـلى إصـلاح حـال أمته دينيًّا وأدبيًّا ولم يتبعه إلا بعض فقراء اليهـود وأصاغرهم؛ فلـذلك لم يلتفـت إليه أحد من غير اليهود؛ فحادثة الصلب كانت من المسائل المحلية الداخلية لهـم لم يهتم بها أحد من حكام الرومان خارج أورشليم؛ ولذلك صـدر أمـر بـيلاطس فيها بدون استئذان رومية كما يفهم من جميع الأناجيل [9] .

---

[9] جاء في كتاب حكايات من العهد الجديد لمؤلفه جولد الإنجليزي ص **126** أن رؤساء مدينة أورشـليم لـو كـانوا اهتموا بأمر المسيح إذ ذاك، لأرسلوه إلى روميـة أو لأنفـذوا فيـه العقوبـة وحـده ا هــ فـإذا كـانوا عـاملوه معاملـة اللصوص وصلبوه بينهم فهل أبلغ بيلاطس اللصين أيضا إلى رومية؟ إذا كـان ذلـك فـأين مـا يؤيـده مـن تـواريخ الرومان القديمة التي ذكرت حادثة الصلب لتعيير النصارى وتحقيرهم كما يقولون؟ فأي تحقير أبلغ من ذكر صلب إلههم بين اللصوص إذا كانوا سمعوا به؟ وإن لم يكن بيلاطس بلغ خبر اللصين إلى رومية فلماذا إذًا أبلغ خبر المسيح إليها مع أنه بإجماع المؤرخين لم ينظر إليه بأكثر مما ينظر به إلى آحاد اليهود وضعفائهم؟؛ إذ لم يأت المسيح بأقـل شيء يمس الرومان ودولتهم مطلقا، فإن قيل: إذا كانت معجزات المسيح التي ذكرها القرآن حقيقيـة، فلـماذا لم يـذكرها مؤرخو اليهود والرومان فيما ثبت أنهم كتبوه من التاريخ؟ قلت: لأن جل هذه المعجـزات وأعظمهـا كـان يعملهـا عليه السلام بعيدًا من أورشليم في بعض القرى الصغيرة أو الخلوات بين تلاميذه وبعض عامـة اليهـود، ومـا كـان يجيب أحدًا منهم عن طلبه حينما يقترحون عليه عمل المعجزات (راجع مثلا يو **2**: **18**-**20** و**6**: **30**-**40** ومر **8**: **11** و**12** ولو **22**: **64**) وغير ذلك، فلم يَرَ الرؤساء من اليهود والرومان آياتـه، وإنـما كـانوا يـسمعون عنهـا مـن عامتهم، حتى إن أكبر معجزاته وهي إحياء لعازر بعد دفنه بأربعة أيام لم يروها بأنفسهم، وإن سمعوا عنها ممن آمن به لأجلها من عامة اليهود (يو **11**: **45** -**47**) وكذلك هيردوس كان يسمع عن آياته وما رأى شيئا منهـا بنفـسه

والراجح عند العلماء أن بيلاطس لم يبلغها رسميًّا للإمبراطور طيباريوس في رومية (راجع كتاب شهود تاريخ يسوع ص23) لأنها كانت من المسائل الصغيرة القاصرة على اليهود، وكانوا غير خاضعين لشرائع الرومان في مسائلهم الدينية.

فغاية الأمر أن عيسى وهو أحدهم حكم عليه مجمع السنهدريم اليهودي بالموت، وهو لم يكن رومانيًّا حتى تهتم به الرومان، وكان لا بد لهذا المجمع أن يحصل على تصديق الحاكم الروماني في بلادهم لكي يقدر على تنفيذ ما حكم به رسميًّا، نعم وكان الرومان على الحياد بالنسبة لمسائل اليهود الدينية الداخلية إلا أنه كان لا بد من تصديقهم على مثل هذه العقوبات التي يريد اليهود تنفيذها في شئونهم الدينية شأن الأمم الغالبة مع الأمم المغلوبة كما هو مشاهد في هذا العصر (راجع كتاب رينان في حياة المسيح ص 134).

حتى لم يجبه المسيح عما طلب منه (لو 23: 8 و9) (وما راءٍ كمن سمع ولو كان مؤمنًا فما بالك إذا كان السامع كافرًا به فيذهب في تأويل ما سمع مذاهب شتى ولا يصدق) وهؤلاء المؤرخون كانوا من خواص اليهود والرومان ولم يروا شيئًا بأنفسهم، فما كانوا يصدقون ما يسمعون، ولا ينتظر منهم أن يدونوا في تواريخهم ما لا يعتقدون. أما معجزة خلق (أي تقدير وترتيب) قطعة من الطين كهيئة الطير وصيرورتها طيرًا بإذن الله، والكلام في المهد، فوقعتا في صِغَره وفي مدينة الناصرة وهي قرية في الخليل صغيرة حقيرة عند اليهود ولم يكن فيها أحد من كبار الرجال ومشاهير الكُتاب، فلذلك لم يروهما أحد غير بعض أتباعه الجليليين، فذكرتا في إنجيل توما وإنجيل الطفولية وغيرهما من الأناجيل غير القانونية عند النصارى الآن، ونسيها الآخرون منهم لبعد زمنها ولوقوعها قبل أن يشتهر أمر عيسى بين الناس. وأما قصة تفتح القبور وقيام كثير من أجساد الراقدين ودخولهم مدينة أورشليم وظهورهم للناس كما قال متى (27: 51 – 54) فإنما أنكرناها؛ لأنهم ادعوا أنها وقعت في أعظم مدن اليهود حيث يوجد كبار الرجال منهم ومن الرومان، ومع ذلك لم يروها أحد غير متى، ولم يروها إنجيل آخر مما كتبه نفس أتباع المسيح مع القول بأنها وقعت بعد أن ذاع صيته وكان له أتباع كثيرون.

فلم يكن ثَمَّ باعث لاهتمام الرومانيين بهذه المسألة حتى لو بلغ الحكومة خبرها رسميًّا بعد وقوعها؛ ولذلك كان مؤرخوهم يجهلون تاريخ المسيح ولم يذكره إلا قليل منهم عرضًا في كتبهم، والغالب أن أهل رومة لم يسمعوا به إلا بعد أن دخلت النصرانية إيطاليا وكانوا يحتقرون النصارى احتقارًا شديدًا ولا يهتمون بهم ولا يعرفون الفرق بينهم وبين اليهود ولا شيئًا من أخبارهم الصحيحة؛ ولذلك يقول تاسيتوس: إن لليهود والنصارى إلهًا له رأس حمار، ويقول سويتونيوس المؤرخ الروماني (Suetonius) في أوائل القرن الثاني: إن اليهود (يريد النصارى) طردَهم كلوديوس من رومة؛ لأنهم كانوا يحدثون شغبًا وقلاقل فيها، يحرضهم عليها دائما السامي أو الحسن (chrestus) يريد المسيح. ا هـ.

وكان يظن أيضا أن المسيح عليه السلام كان مقيمًا في رومية في ذلك الزمن، فإذا كان هؤلاء المؤرخون إلى أوائل القرن الثاني لم يعلموا إن كان المسيح وجد في رومية أو لم يوجد ولا حقيقة عقيدة أهل الكتاب في الله، فكيف يعول النصارى على شهادتهم؟

فقيمة هذه التواريخ الوثنية عن مؤسس النصرانية عليه السلام هي كقيمة كتابات بعض مؤلفي الإفرنج في القرون الوسطى الذين كانوا يكتبون عن المسلمين أنهم يعبدون (ماهوم) أو غير ذلك من الأسماء، وأن له صنمًا عندهم من ذهب في مكة أو أورشليم. ومنهم من زعم أنه رأى هذا الصنم بعينيه إلخ ما

نـشر مـن خرافـاتهم وهـذياناتهم؛ فكـذلك كانـت كتابـة الـوثنيين عـن المـسيح والمسيحيين.

فهي لا قيمة لها، ولا يجوز أن يعتبر شيء منها تاريخًا صـحيحًا، فإنهـا كلهـا مبنيـة على الإشاعات والاختلاقات والأوهام والأكاذيب بدون أن يكلفوا أنفسهم أقل عناء في معرفة الحقيقـة. ولم يكـن للنـصارى إذ ذاك شـأن عنـدهم حتـى يلتفتـوا للبحث في تاريخهم؛ ولذلك جهلوا حتى اسمهم واسم رئيـسهم يـسوع[10] عليـه السلام؛ فإذا قالوا: إنه صلب، أو: عبده جميع النصارى من دون الله أو غير ذلك؛ فهي أقوال لا يهتم به أحد من المسلمين؛ فإنها صادرة عن قوم لا يفهمون من أمـر النصارى شيئًا، وربما قاسوا بعض معتقداتهم عـلى معتقـدات أنفـسهم، ونظـروا إليها بهذا المنظار وفهموها خطأ؛ فظنوا أنها إما خرافات وخزعبلات كما قـالوا في كتبهم عنها؛ أو أنها تحوير لعبادتهم للآلهة الرومانية قام بـه المتنـصرون مـنهم، أي أنهم ألَّهوا رئيسهم وعبدوه بدل تلك الآلهة الرومانية [11] ومـا كـانوا ليفهمـوا مـن النصرانية أكثر من هذا أو نحوه كما كان يظن الأوروبيـون أن المـسلمين يعبـدون

---

[10] إذا سلم أن بيلاطس أرسل عن صلب المسيح تقريرًا إلى رومة اطَّلع عليه تاسـيتوس كـما يـدعون، فـلا يُعقـل أن بيلاطس لا يذكر في هذا التقرير اسمه يسوع، فكيف إذًا جهل تاسيتوس وغيره هذا الاسم كأنه ما سمع به أفلم يره في هذا التقرير المزعوم!!.

[11] لما دخل الرومان وغيرهم في المسيحية جعلـوا يـوم الأحـد - وهـو يـوم عبـادة الـشمس أعظـم آلهـتهم- العيـد الأسبوعي لهم بدل سبت التوراة؛ وجعلوا يوم 25 ديسمبر (وهو يوم ميلاد الشمس أيضا) يوم الميلاد للمسيح عليه السلام، فحملوا بذلك وبغيره وثنيتهم إلى النصرانية (راجع تاريخ جولد مجلد 1 ص54).

محمدا عليه السلام وجهلوا اسمه كما جهل الرومان اسم يسوع، وجعلوا له ثلاثة آلهة أو ثالوثًا قياسًا على ثالوثهم [12] .

والخلاصة أن أمثال هذه التواريخ المبنية على مثل هـذه الأوهـام والجهـل لا تفيـد النصارى شيئًا؛ وهي لا قيمة لها بالمرة فلا يصح الاحتجاج بها على المسلمين؛ هذا إذا كانت خالية من التحريف، فكيف وما خلت منه كما في الوجه الآتي:

2. إن هذه العبارة المذكورة في تاريخ تاسـيتوس قـال فيهـا كبـار العلـماء مـن المحققين في أوربا: إنهـا إمـا أن تكـون مدسوسـة عليـه أو محرفـة بالزيـادة (راجع كتاب شهود تاريخ يسوع ص 20 -56) وكتاب (ملخص تاريخ الدين) لمؤلفه جولد (Gould) ص22 مجلد 3.

وقد بين هؤلاء العلماء دلائلهم على صحة دعواهم هذه، ولكن يطول بنا إيرادهـا في مثل هذه المقالة، والحق أن المؤلفات التي وصلتنا من طريق النصارى لا يوثـق بها؛ لكثرة تعودهم على تحريف جميع ما نقلوه من الكتب التي وصلت إلى أيـديهم سواء كانت دينية أو تاريخية أو غير ذلك، كما يعترف بـذلك علـماء النقـد مـنهم الآن، فكم من عبارة أظهروا تحريفها أو دسها! وكم من كتـب أظهـروا وضـعها واختلاقها ونسبتها إلى غير كاتبيها حتى لم يسلم مـن عملهـم هـذا الكتـب التـي

[12] راجع كتاب (الإسلام) تعريب فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية بمصر.

توجد عند غيرهم من الأمم كتاريخ يوسيفوس الموجود عند اليهود أيضا؛ وقد بينا ذلك في كتاب دين الله (ص79 و80 منه) فمنذ القرن الرابع حينما صارت دولة الرمان إليهم تصرفوا في كتبهم وفيما وصلهم من كتب غيرهم بما شاءوا وشاءت أهواؤهم؛ ولم يخشوا حسيبًا ولا رقيبًا.

وقد بيَّن العلامة أندريس (Andresen) أن أصل عبارة تاسيتوس هذه في أقدم النسخ المخطوطة باليد مغاير للموجود في النسخ المتأخرة في كلمة (Chrestianos) التي حرفوها إلى (Christianos) والفرق بين الكلمتين عظيم، فإن الأولى بمعنى الطيبين والثانية بمعنى المسيحيين وكانت الكلمة الأولى (Chrestianos) تطلق على عُباد الإله المصري (Chrestus) المسمى أيضا (Osiris) وكان عُبَّاده في رومية إذ ذاك كثيرين من عامة الرومان ومن مهاجري المصريين، وهم الذين كان يمقتهم الرومانيون الآخرون، واضطهدوهم كثيرا لأسباب دينية وسياسية؛ ولشدة كرههم لأولئك المصريين واحتقارهم لهم لم يمكنهم أن يميزوا بينهم وبين اليهود المصريين المهاجرين إليهم من الإسكندرية وغيرهم، واعتبروهم كلهم سواء في الجنس والدين، فلما احترقت رومية نسبوا الحريق إليهم فحل بهم ما حل من اضطهاد نيرون قيصر الرومان (Nero) كما فصله تاسيتوس في تاريخه.

فالظاهر أن بعض النصارى ظن أن تاسيتوس يريد بقوله (Chrestianos) المسيحيين أي (Christianos) فأضاف إلى تاريخه هذه العبارة للتفسير، أي: هذا

الاسم: أي (Chrestianos) منسموب إلى المسيح (Christ) الذي صلب بـأمر الـوالي بيلاطس في عهد الإمبراطور طيباريوس (Tiberius) مع أنه نسبة إلى (Chrestus) إله المصريين ولما لاحظ النصارى هذا الخطأ حرفوا اللفظ الوارد في كتابة تاسـيتوس مـن (Chrestianos) إلى (Christianos) لتـصح النـسبة إلى المـسيح (Christ) ولـذلك اختلفت النسخ الحديثة عن النسخ القديمة في هذا اللفظ، كما حقَّقه أندريس على ما سبق، وعليه فتاسيتوس لم يذكر المسيح في كتابه مطلقًـا، و (Chrestus) المـذكور هنا هو اسم آخر لأوزيريس كما تقدم؛ وكان يطلق أيضا عـلى رئـيس كهنـة هـذا المعبود بل وعلى بعض موالي الرومـانيين، وهـذا يفهمنـا المعنـى الحقيقـي لقـول سوتيونيوس (Suetonius) السابق: إن اليهود طـردهم كلوديـوس (Claudius) مـن رومية بسبب ما يحدثونه من الفتن بتحريض الحسن أو الـسامي (Chrestus) وهـو على هذا أحد رؤساء الكهنة أو شخص آخر سمي بهذا الاسم.

وهو تفسير معقول، ولـولاه لكـان سـويتونيوس لا يعـرف الفـرق بـين اليهـود والنصارى، ويزعم أن المسيح وجد في رومية وهو خطـأ يبعـد جـدًّا أن يقـع فيـه مؤرخ مثله. فالحق أنه لم يذكر عيسى عليه السلام كما لم يذكره تاستيتوس على مـا بينا، ولولا تحريف النصارى لكتبهما لفظًا ومعنى لَمَا فهم منهما غير ما قررنـاه ولَمَـا توهم أحد وقوع سـويتونيوس في هـذا الخطـأ الفظيـع والجهـل الفاضـح الـذي ينسبونه إليه.

ولما انتشرت المسيحية في رومة بقي الرومان مدة لا يفرقون بين كلمة (Chrestians) و (Christians) وكلمة (Chrestus) و (Christus) وظنوا أن المسيح هو معبود المصريين (Osiris) القديم. فحصل بسبب ذلك هذا الخلط والخبط حتى توهم أيضا يوستينوس (Justin) الشهيد النصراني الشهير المتوفى في القرن الثاني أن هناك علاقة بين اسم المسيحيين (Christians) وكلمة (Creston) أي حسن أو طيب كما في كتاب جولد المذكور (ص19 من المجلد 3).

3. إذا سلم أن تاسيتوس أخذ خبر الصلب من مصدر رسمي في رومية كما يدَّعون فنحن لا نقول: إن بيلاطس ورؤساء اليهود كانوا يعرفون الحقيقة بل نقول: إنهم كانوا مخدوعين، بل ربما كان العسكر الذين قبضوا على يهوذا بعد فرار المسيح أيضا مخدوعين؛ إذ يجوز أنهم أخذوه إلى السجن لا لمجرد تخليص أنفسهم من العقاب باتهامهم أي شخص كان؛ بل لاعتقادهم أنه هو عيسى وساعدهم على هذا الظن شدة شبه يهوذا به وجهلهم بطرق تحقيق الشخصية (وهو العلم الذي تُوسع فيه الآن) وكذا عدم شدة مقاومة يهوذا لهم لتصميمه على قتل نفسه من قبل القبض عليه كما بينا، فإذا قال لهم مرة أو مرتين حينما قبضوا عليه: إنه ليس هو عيسى، ظنوا أنه كاذب، وأنه يريد الفرار منهم مرة أخرى، فلم يلتفتوا إلى قوله.

ومما ساعد على جهل الناس حقيقة المصلوب حتى انخدعوا أن هيردوس غيَّر ملابس المسيح وألبسه لباسًا أبيض لامعًا استهزاء به (لو 23: 10) ورده إلى بيلاطس، فوضع بيلاطس أيضا إكليلا من شوك فوق رأسه وألبسه ثوب أرجوان، وخرج به هكذا، وحاكمه أمام اليهود (يو 19: 2-16) ولما حكم عليه بالصلب أخذه العسكر إلى داخل دار الولاية، وألبسوه رداء قرمزيًّا ووضعوا إكليلا من شوك على رأسه (مت 27: 28 و29) وكل هذه المظاهر المختلفة تغير هيئته أمام من رآه خصوصًا من لم يعرفوه معرفة جيدة وتساعد على الوقوع في الخطأ.

وفي وقت الصلب جردوا المصلوب عن ثيابه كلها وبقي عريانًا ولا يخفى أن من لم يتعود رؤية شخص وهو عريان لا يسهل عليه معرفته بعد تجريده من ملابسه. (انظر مر 15: 24 -27 ومتى 27: 35 و36).

وكيف يعجبون من قولنا: إن النساء اللاتي كن واقفات بعيدًا عنه وقت الصلب لم تعرف الحقيقة، ولا اللذين دفناه، وهما ما كانا يعرفانه حق المعرفة كما بينا كيف يعجبون من ذلك ولا يعجبون من أن مريم المجدلية التي كانت تعرفه حق المعرفة ومختلطة به أتم الاختلاط، لم تعرفه وقت القيامة مع أنها كانت واقفة بالقرب منه وكان يكلمها (يو 20: 15) وكذلك بعض التلاميذ الآخرين ما عرفوه مع أنه كان يمشي معهم ويحادثهم ويأكل معهم (لو 24: 13 - 34).

وكان الشك فيه ملازمًا لهم كلما رأوه (مت 28: 17، ولو 24: 37 -42 ويو20: 27).

ولماذا تغير شكله؟ وما هو السبب في ذلك؟ ولماذا لم يَبقَ على صورته الأصلية حتى يقنع تلاميذه بدل الشك فيه مرارًا؟. أما يكفي أنه لم يره أحد غير تلاميذه؟ فهل بعد ذلك يشككهم مرارًا في نفسه بسبب تغير هيئته (مر 16: 12)؟ ثم يحاول إقناعهم بصعوبة زائدة حتى بقي بعضهم شاكًّا في الجليل بعد أن رأوه في أورشليم. انظر (متى 28: 17).

ولا تنس أن القبض على المسيح ومحاكمته أمام مجمع اليهود ورؤسائهم كانا ليلا، ولا يخفى على أحد مبلغ طرق الإضاءة في تلك البلاد وتلك الأزمنة وكان ذلك أكبر وقت قضاه المسيح أمام أولئك الرؤساء. أما محاكمته في النهار فكان وقتها قليلا جدًّا، وكان يختلي به بيلاطس فيها مرات (انظر يوحنا 18: 33 - 19: 16) فضاع بذلك أكثر هذا الوقت القصير أيضا، وكان المسيح كلما خرج أمام اليهود في وقت هذه المحاكمة، لابسًا ملابس السخرية والاستهزاء (يو19: 5) كما بيَّنا وهي طبعًا غير ملابسه العادية ولا بد أنها تغير شكله، وعليه فكل هذه الظروف تساعد على وقوع الخطأ والاشتباه.

ومما يؤيد قولنا بهروب المسيح من السجن، ويقرب ذلك من عقول النصارى: ما جاء في إنجيل يوحنا وهو يدل على قدرته على الاختفاء والإفلات من أيدي الناس بطرق عجيبة جدًّا خارقة للعادة، قال 8: 59 (فرفعوا حجارة ليرجموه، أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازًا في وسطهم ومضى هكذا. أي: بدون أن يروه، وقال 10: 39 (فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم) فلِمَ لا يجوز أن يكون خرج من أيدي الحراس كما كان يخرج من أيدي اليهود على ما قال الإنجيل ولم يره أحد؟ (راجع أيضا لوقا 4: 29 و30).

ومن الجائز أنهم لما لم يجدوه وخرج من أيديهم واختفى بهذه الكيفية التي ذكرتها الأناجيل وتحققوا من عدم وجوده بالمدينة، خاف الحراس من العقاب وارتبكوا وخاف اليهود أن يؤمن به كثير من الناس فأخذوا عمدًا واحدًا غيره من المسجونين يشبهه أو لا يشبهه باتفاقهم مع العسكر، وربما رشوهم بمال كثير حتى لا يبوحوا لأحد بالسر مطلقًا (انظر مت 28: 12) وصلبوا هذا الرجل خارج المدينة، وأفهموا الناس أنهم صلبوا المسيح، وكان المسيح في ذلك الوقت قد ذهب إلى الجليل أو غيره هربًا منهم وخوفًا (انظر يو 7) ومن هناك رُفع إلى السماء فلم يعثر عليه أحد كما رُفع أخنوخ (تك 5: 24) وإيليا (2 مل 2: 11: 17) وقد منع اليهود الناس من الاقتراب من المصلوب؛ لئلا يعرفوا الحقيقة، وأيضا كان من رأيهم أن هلاك واحد من الشعب خير من هلاك الأمة كلها على

حسب زعمهم (يو 11: 50) فلا يبعد أن واحدًا من رؤساء الكهنة قدم نفسه لذلك العمل كما يفعل بعض الناس للآن في زمن الحروب وغيرها.

ويحتمل أيضا أن هذا الذي أخذوه كان أحد المحكوم عليهم بالإعدام كباراباس (لو 23: 19) الذي قال علماؤهم: إنه كان يسمى يسوع أيضا في أقدم تراجم المسيح، فحذف النصارى هذا الاسم منها (راجع دائرة المعارف الإنكليزية مجلد 13 صفحة 656) ونظرًا لأن هذا الرجل كان محكومًا عليه بالإعدام على ما يظهر، وكان اسمه يسوع، فلما صلبوه ظن أنه صلب لأجل ما حدث منه من القتل والفتنة، وكلما نادوه باسمه لم يخطر على باله أنهم أقاموه مقام يسوع المسيح الذي ظنه الناس أنه هو المصلوب، وبذلك تحقق قول المسيح لليهود (يو 7: 33) (أنا معكم زمانًا يسيرًا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني 34 ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا).

واستجاب الله دعاءه برفع كأس الموت عنه (مر 14: 35 – 42) وإلا فكيف يعقل أن الله يرد دعاء مثله؟ (راجع أيضا يوحنا 16: 32 و33).
وعلى هذا الوجه يكون الذين كتبوا الأناجيل أناسًا لم يعرفوا حقيقة المسألة فكتبوها كما شاع في ذلك الوقت واشتهر عند أكثر الناس.

وبعد الصلب جاء يوسف ونيقوديموس وهما يهوديان من أعضاء مجلس السنهدريم وأخذا الجثة بأمر رؤساء الكهنة وأخفياها عن أعين أتباع المسيح خوفًا من أن يعرفوا الحقيقة، فتظاهرا بأنهما من أتباع المسيح في السر (يو 19: 38 و39) ليمنعاهم من دفنه بأنفسهم وأخذا الجثة ووضعاها أولا في قبر ولما ذهب كل من كان واقفًا من الناس نقلاها إلى موضع آخر لم يعلمه أحد.

ولما شاعت إشاعة القيامة واعتقدها بعض الناس كانت أولا قاصرة على التلاميذ كما سبق، ولم يجاهروا بها أمام اليهود خوفًا منهم (يو 20: 19 و 26) وبعد نحو خمسين يومًا كما في سفر الأعمال (2: 1 و14) بدءوا يخبرون اليهود باعتقادهم هذا. ولكن في ذلك الوقت كانت جثة المصلوب قد تغيرت جميع معالمها بسبب التعفن الرمي، ولا يمكن لليهود أن يحضروها بعد إخفائهم لها، وإذا أحضروها فلا يقتنع بها أحد ولا يمكن أن يعرفها، فكان من العبث أن يحاول أحد إقناعهم بذلك [13]

ولذلك سكت رؤساء اليهود عن مثل هذه الحجة التي تظهرهم بمظهر العاجز المتحير، وظنوا أن أحسن طريقة لإسكات النصارى هي استعمال القسوة والاضطهاد لا مثل هذه المناقشة التي لا طائل تحتها. وربما أشاع بعض عامة

---

[13] هذا إذا سلمنا صحة ما جاء في سفر الأعمال، ولكن الأظهر عندنا أن النصارى لم تجاهر بدعوى القيامة أمام المخالفين لهم، ولم يدعوهم إليها علانية إلا في القرن الثاني للمسيح؛ ولذلك لم يرد في تاريخ من التواريخ القديمة لليهود أو الرومان أو غيرهم أن النصارى كانت تقول بتلك العقيدة أو تدعو الناس إليها جهرًا في تلك الأزمنة الأولى، فكيف لم تذكر التواريخ ذلك، ولو على سبيل الاستهزاء والسخرية؟ وقد كان عدد المسيحيين إذ ذاك في العالم مما يستحق الذكر كما يقولون.

اليهود في ذلك الوقت فكرة سرقة تلاميذ المسيح الجثة من القبر لأنهم لم يعرفوا الحقيقة، ولا يبعد أن بيلاطس نفسه دخلت عليه الغفلة من رؤساء الكهنة والعسكر ولم يعرف هو أيضا الحقيقة، فإنه كان يحب المسيح كثيرًا هو وامرأته (متى 27: 19 و24) فكان هؤلاء الرؤساء يخافون أن يؤمن به وخصوصًا إذا تحقق أن المسيح أفلت من أيديهم واجتاز في وسطهم بدون أن يروه كما يقول الإنجيل بعد أن كان بيلاطس يسعى في خلاصه منهم بنفسه فلم يقدر (مت 27: 17 – 25).

ولنا أن نسترسل في هذا الوجه ونقول كما قال متى: إن المسيح بعد ذلك عاد إلى بعض تلاميذه لما ذهبوا إلى الجليل وأخبرهم بحقيقة المسألة، فبعضهم صدق كلامه وأنه هو، وبقي البعض الآخر شاكًّا (مت 28: 17) متمسكًا بما ذهب إليه أولا من حصول الصلب له والقيامة من القبر.

أما الذين صدقوا فمن شدة حيرتهم ودهشتهم لم يفهموا منه جميع تفاصيل القصة كما لم يفهموا كلامه في أثناء حياته عن موته وقيامته على ما سبق بيانه مع أنهم لم يكونوا إذ ذاك في حالة من الحيرة والدهشة كهذه، ولذلك فاتهم بعض أشياء من هذه القصة فاختلفوا في تصويرها للناس، ومن ذلك نشأت فرق النصارى القديمة التي أنكرت الصلب، وقالت: إن المصلوب واحد آخر غير المسيح لم يتفقوا على تعيينه، وقال بعضهم: إنه سمعان القيرواني الذي تقول الأناجيل: إنه حمل الصليب (مت 27:32) وذلك مثل طائفة الباسيليديين (BASILIDIANS)

كما ذكره جورج سيل الإنكليزي في ترجمته للقرآن الشريف في سورة آل عمران صفحة 38.

فإن قيل: ولماذا لم يُظهر المسيح نفسه لليهود حينئذ ويُكذبهم في قولهم بصلبه؟ قلت: لعله خاف منهم (يو 7: 1 و10 و11: 54 و12: 36) على أن هذا السؤال وارد على النصارى بالأولى، بأن يقال: لماذا لم يُظهر نفسه كما وعد المنكرين له بعد قيامته؛ حتى يؤمنوا به، وحتى لا يشك فيه نفس تلاميذه؟ فما يقولونه في الجواب عن ذلك هو عين جوابنا نحن أيضا.

هذا وإذا لم يثبت أن المسيح عاد للتلاميذ وأخبرهم بالحقيقة فلا غرابة في ذلك؛ لأنه كان قد لَمَّح لهم بها من قبل حادثة الصلب؛ فقال لهم (يو 16: 32) (هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي وأنا لست وحدي لأن الآب معي 33 قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام، في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) وقال أيضا (يو 13: 33): ستطلبونني، وكما قلت لليهود (ص 7: 34) حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقل لكم أنتم الآن. ولكن الناس قد نسوا ذلك أو شكوا فيه أو لم يفهموه كما لم يفهموا كثيرًا ومن كلامه الآخر (يو 21: 22 و23 و2: 19 – 22) ولو18: 34) إلخ.

وكيف يتفق قوله: إن الآب معي، مع قول المصلوب: مت 27: 46: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فالحق أن الله ما تركه بل رفعه إليه ونجاه من أيدي اليهود. (راجع أيضا كتاب دين الله ص 100 – 103) وربما أنه بعد فراره منهم ذهب إلى الهند كما كان يهرب من أورشليم مرارًا خوفًا من اليهود (انظر مثلا يو 10: 39 – 42 و11: 53 – 57) وقد بيَّن ذلك الأستاذ صاحب المنار في تفسيره، واستدل على ذلك بروايات الهنود؛ وبوجود قبر لشخص جاءهم منذ التاريخ المسيحي واسمه يوزاسف، وهو يقرب من اسم المسيح يسوع، تعريب ييزس (Iesous) اليوناني، ومنه ييسس الإنكليزي (Jesus) إلخ، ويقال هناك: إن اسمه الأصلي: عيسى صاحب.

وعليه يكون المسيح مات هناك بعد أن عاش مدة قليلة في راحة وهناء ودفن ولم يرفع بجسمه إلى السماء حيًّا كما يقول كثير من المسلمين والنصارى الآن، ويكون المراد بالرفع في القرآن الرفع المعنوى أو الروحاني. وربما أنه هناك لم يؤمن به أحد أو آمن به قليلون انقرضوا واندمجوا في باقي أهل الهند وتلاشت عقائدهم في عقائد أولئك.

ومما يؤيد القول بعدم إيمان أحد به أنه لم يرسل إلا إلى بني إسرائيل ولم يدعُ أحدًا إلى دينه سواهم (مت 10: 5 و6 و15: 24) وإلى هذه الهجرة الهندية قد أشار القرآن الشريف كما قال الأستاذ السيد صاحب المنار بقوله:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ المؤمنون: ٥٠

فأمه هاجرت معه؛ ولذلك لم يقف النصارى على شيء يعتد به من تاريخها بعد حادثة الصلب باليقين.

ومما يزيدك وقوفًا على اضطراب الأناجيل وخطأها في هذه المسألة وغيرها أكثر مما تقدم أن إنجيل يوحنا (وهو متأخر عنها فلذا نمت فيها العقائد أكثر) يقول: إن يحيى بن زكريا كان يعتقد أن عيسى هو حمل الله الذي يرفع الخطية عن العالم (يو 1: 29 –35) مع أن الأناجيل الأخرى قالت: إنه وهو في السجن في آخر حياته لما سمع من تلاميذه عن أعمال المسيح أرسل إليه اثنين منهم يسألانه: هل هو المسيح المنتظر أم ينتظر غيره؟ (راجع لوقا 7: 18 – 23 ومتى 11: 2 – 6) ولا أدري كيف يتفق هذا مع اختراعات إنجيل يوحنا فانظر وتعجب.

ومن خطأ الأناجيل قول متى (23: 23) إن الكتبة والفريسيين كانوا يدفعون العشر عن النعنع والشبث والكمون، مع أن مثل هذه الأشياء ما كان يدفع عنها شيء (راجع كتاب شهود تاريخ يسوع ص 238) وقال هذا الإنجيل أيضا عن المسيح إنه قال إن اليهود قتلوا زكريا بن برخيا بين الهيكل والمذبح (مت 23: 35) مع أن الذي قتلوه هو زكريا بن يهويا داع كما في سفر أخبار الأيام الثاني (24: 20 و21) وأما ابن برخيا أو باروخ، فهذا قتل بعد المسيح حينما حاصر

الرومانيون أورشليم كما ذكره يوسيفوس في كتابه (تاريخ حرب اليهود) وهـذا مما يدل على خبط الأناجيل وخلطها في حوادث تـاريخ المـسيح، فكيـف يطمـئن الإنسان إلى روايتها أو يثق بشيء منها مع امتلائها بالغلط والتنـاقض الـذي بينـاه مرارًا؟.

وسنكتب إن شاء الله قريبًا شيئًا عن تاريخ هذه الأناجيل وعـن بـولس مؤسـس المسيحية الحالية الحقيقي.

فإن قيل: ألا ترى أن وقوع الصلب بهذه الكيفية التي شرحتها يـشكك النـاس في صدق عيسى أنه هو المـسيح المنتظـر، فـإنهم كـانوا يتوهمـون أنـه يُـردّ المُلـك إلى إسرائيـل (أع 1: 6)؟ قلـت: إذا كـان الاعتقـاد بـصلبه لم يـشككهم جميعًـا في ألوهيتـه فكيـف إذا يـشككهم في صـحة مـسيحيته؟ وأي ضرر إذا شـككهم في أوهامهم التي كانوا بالغوا فيها بـشأن مـسيحهم الـذي كـانوا ينتظرونـه؟ وهـل نسيت أن باب التأويل عند الناس في مثل هذه المسائل واسع، فإنهم يرجعـون إلى أوهامهم فيحورونها وإلى نبواتهم فيؤلونها؟ ولذلك تراهم أولوا صلبه بأن ذلـك إنما فعله بإرادته رغبة منه في خلاص البـشر، مـع أن المـسيح كـان يلـح في طلـب النجاة من الله (متى 26: 38 - 44 ولو 22: 41 - 45) وقالت أنـاجيلهم أنـه قال: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ وهو يدل على اليأس والقنوط من اسـتجابة دعائـه (راجـع أيـضا مزمـور 22 خـصوصًا عـدد 14 و15 منـه) وأولـوا فقـدان جثـة المصلوب بأنه قام من الموت. وأولوا ملك المسيح الذي كانوا ينتظرونه بأنه سيأتي

قريبًا (رؤ22: 7 و10 و12 و20 ومت 16: 27 و28 و10: 23 ورؤيا 3: 11 ويع 5: 8 وبط 4: 7 ويو2: 18 وتسا 4: 15 – 17 وكو 10: 11 و15: 51 52 إلخ) ويرد الملك لهم ويحكم في الأرض ألف سنة كما في سفر الرؤيا (20: 4 و7) وأن يوحنا لا يموت حتى يجيء المسيح (يو 21: 22) فلما مات يوحنا ومضت القرون ولم يجئ رجعوا إلى عبارته في يوحنا فوجدوها لا تفيد ما توهموه، وأولوا جميع عباراته المزعومة وعبارات غيره الدالة على قرب مجيئه (حتى ما في متى 24: 3 و29 – 41) وقالوا: إن ملكوته روحاني لا دنيوي إلخ إلخ.

وقد بين علماء الإفرنج في كثير من كتبهم أن اليهود لكثرة اختلاطهم بالأمم الوثنية وتسلطها عليهم ورؤية اليهود ما لهم من عز ومجد ومدنية ولطول زمن خضوعهم لهم يئس كثير من خواصهم أن يكون مسيحهم المنتظر سلطانًا دنيويًا مخلصًا لهم من تسلط هؤلاء الأمم الأجنبية القوية، وتأثروا بما عندهم فاقتبسوا بعض أفكارهم الوثنية في آلهتهم التي قالوا: إنها نزلت بإرادتها إلى الأرض لخلاص البشر بالخضوع للموت والصلب، وطبقوا هم أيضا هذه الأفكار على مسيحهم، فقالوا: إنه سيكون شخصًا إلهيًّا أو ابنًا لله تعالى وسيرسله لتخليص الناس بالموت والصلب طائعًا مختارًا. كما قال الوثنيون في آلهتهم، فإن ميل اليهود للوثنية متأصل فيهم من قديم الزمان ولذلك كثيرًا ما عبدوا آلهة الأمم وكفروا مرارًا بربهم وكانت نساء أورشليم يبكين على تموز إله البابليين الذي قتل لأجل خلاص البشر ثم قام من الموت أيضا (حز 8: 14) وهذا هو سبب ورود بعض ما يشبه هذه الأفكار الوثنية في بعض كتب العهد القديم كما في إشعيا (53)

وميخا (5: 2-9) فلما جاء عيسى اخترع له مؤلفو العهد الجديد بعد زمنه من الحوادث والصفات والأقوال ما يجعلهم قادرين على تطبيق أوهام اليهود القديمة عليه (راجع مثلا ع 8: 26 – 40) هذا إذا صح أن ما في تلك الكتب هو حقيقة إشارة إلى المسيح وصلبه وقِدمه كما يزعمون، على أن أكثر اليهود كان يرى فيها خلاف ذلك ويعتقد أن المسيح لا بد أن يكون ظافرًا منصورًا لا مغلوبًا مقهورًا كما هو صريح أكثر النبوات الواردة في شأنه في العهد القديم (راجع مثلا ميخا إصحاح 5 وزكريا 9: 9 – 17 وملاخي 3: 1 – 6 و4: 5 وإشعيا 11: 1 – 6 وأيضا إصحاح 42 منه إذا صح زعمهم أنه في المسيح هو وما في حجي 2: 6-9) ولذلك كانوا يعدون الصلب أكبر عثرة في سبيل إيمانهم به كما قال بولس (1 كو 1: 23) ولكن الآخرين منهم اعتقدوا فيه كما اعتقد بولس، وكان توهمهم صلبه مما يؤيد اعتقادهم أنه هو المسيح المنتظر لا يزعزعه؛ فلذا كان وقوع حادثة الصلب بالكيفية التي شرحناها أولا مما يؤيد قول فريق منهم بصحة مسيحية عيسى ويناقض قول الآخرين. ولو وقع عكس ذلك بأن نجا المسيح ولم يشتبهوا في غيره لاعتقد كونه هو المسيح كثيرون وخالفهم أيضا آخرون مما يعتقدون وجوب تألم المسيح؛ فلذا كان وقوع حادثة الصلب وعدمها على حد سواء بالنسبة لهذه المسألة. على أن من الأوجه التي سبقت أن رؤساء اليهود صلبوا عمدًا واحدًا غيره حينما نجا منهم فلم يكونوا مخدوعين بل كانوا هم الخادعين للناس، وبسبب غشهم هذا انقسم الناس في أمر المسيح إلى طوائف عديدة يعرفها المطلعون على تاريخ الكنيسة المسيحية، فمنهم من جوز الصلب والعذاب

على المسيح كبولس وأتباعه ووافقهم علـى ذلـك تلمـود اليهـود أيـضا في القـرن الثاني، ومنهم من لم يجوزه وهم جمهور اليهود الآخرين للآن، ومنهم من اعتقد أن المصلوب هو عيسى وأنه إنسان وإله أو كاذب، ومـنهم مـن قـال: إن المـصلوب شخص آخر، ومنهم من يرى أن نبوات التألم والعذاب تمـت أو سـتتم في المـسيح المنتظر، ومنهم من يرى أنها ليست في حقه بالمرة بل في موضـوعات أخـرى، ولله في خلقه شئون.

هذا وقد أفاد وقوع الصلب بهذه الصورة التي شرحناها فوائد:

1. أن المسيح نجا من أذاهم.
2. أن يهوذا على الوجه الأول وقع في الحفرة التي حفرها للمسيح عقابا له على خيانته.
3. عرف الناس خطأهم في الاعتقاد بأن المسيح لا يموت (يو 12: 34) وبأنه يكون حاكمًا دنيويًّا يرد الملـك لإسرائيـل، وأن الله لم يجعلـه فـوق نـواميس الوجود كما كانوا يتوهمون (أفسس 1: 20 و21).
4. عرف بعض طوائفهم قديمًا وحديثًا بأنـه لـيس إلهًـا وإلا لمـا صُـلب، عـلى زعمهم رغم أنفه، ولما دعا الله طلبًا للنجاة وَلَمَا يئس المـصلوب مـن رحمـة الله، ولولا ذلك لكان اعتقاد ألوهيته عامًّا بين أتباعـه جميعًـا في كـل زمـان ومكان، ولما قال جمهورهم: إن فيه جزءًا ناسوتيًّا حادثًـا [14] ولأجمعـوا عـلى

---

[14] هذا إذا سلمنا صحة ما جاء في سفر الأعمال، ولكن الأظهر عندنا أن النـصارى لم تجـاهر بـدعوى القيامـة أمـام المخالفين لهم، ولم يدعوهم إليها علانية إلا في القرن الثاني للمسيح؛ ولذلك لم يرد في تاريخ مـن التـواريخ القديمـة

اعتباره كله لاهوتًا محضًا؛ لقرب عهد الأمم بالوثنية وشدة ميلهم إليهـا في زمانه. راجع ما يقرب مـن ذلـك المعنـى في إنجيـل برنابـا (220: 14 – 21).

فإن قيل: ولماذا لم يرسل الله نبيًّا بعد موته مبـاشرة ليخـبر النـاس بحقيقـة المـسألة حتى لا يذهبوا إلى ما ذهبوا إليه في أمـر خـلاص البـشر بـصلبه، قلـت: إن هـذه العقيدة وحدها بدون دعوى الألوهية لا ضرر فيها كبيرًا سوى أنها خطـأ نظـري عقلي، ولم يكن اعتقاد الصلب هو الحامل لهم عـلى دعـوى الألوهيـة لـه في مبـدأ الأمر بل لم تحملهم حادثة الصلب نفسها وضياع الجثة على القول بـأكثر مـن أنـه قام من الموت كما يعتقد المـسلمون قيـام الـذي مـر عـلى القريـة (قـر 2: 259) وكانت الدعوة الأولى إلى المسيحية كما في كتبهـم قاصرة على أن عيسى هو إنسان وأنه هو المسيح المنتظر وأنه صلب ولكنه قام من الموت وجعله الله ربًّا وسيدًا كـما جعل موسى (خر 7: 1) رغمًا عن صلب اليهود للميسح راجع خطاب بطرس لليهود في سفر الأعمال أ ع 2: 22 – 36) ولما جاء بولس نبههم أو اختـرع لهـم حكمة للصلب وهي تخليص البشر بعد أن فكر في ذلك مدة طويلة منها ثلاث [15]

لليهود أو الرومان أو غيرهم أن النصارى كانت تقول بتلك العقيدة أو تدعو الناس إليهـا جهـرًا في تلـك الأزمنـة الأولى، فكيف لم تذكر التواريخ ذلك، ولو على سبيل الاستهزاء والسخرية؟ وقـد كـان عـدد المسيحيين إذ ذاك في العالم مما يستحق الذكر كما يقولون.

[15] إذا صح أن هذه العقائد كانت عند بعض خواص اليهود من قبل عيسى بسنين عديدة أخـذًا عـن الـوثنيين، كـما يقول علماء الإفرنج الآن – كان بولس هو فقط أعظم من أرشد عامة اليهود إليها وتوسع فيها وأتقن تطبيقهـا عـلى المسيح ودعا بعض الأمم الأجنبية إليها، ولكنه مع ذلك ما كان يعتقـد في عيـسى الألوهيـة الحقيقيـة الكاملـة، بـل اعترف كثيرًا في رسائله أنه فقط رب – أي سيد – وخلقه الله قبل جميع الخلائق (كـو 1: 15) وأخـضع الله لـه كـل

سنين تقريبًا اعتزل فيها الناس في بلاد العرب وفي آخرها ذهب إلى دمشق (غل 1: 17 و18) وربما وافقه بعض التلاميذ على هذه الحكمة التي أرشدهم إليها، والظاهر أنهم خالفوه في غيرها من أفكاره كقوله بعدم وجوب الختان وجواز أكل ما ذبح للأوثان (راجع غل 5: 2 و1 كو 6 و8 ورومية 14 وكو 2: 16 ثم اقرأ رؤيا 2: 2 و9 و14 و3: 6) ولذلك ذمه يوحنا بعد موته في رؤياه هذه، وقد سمى بولس إنجيله (إنجيل الغرلة للأمم غير اليهودية) (غل 2: 7- 10) وإنجيل تلاميذ المسيح (بإنجيل الختان) وكانت دعوتهم قاصرة على اليهود فقط كدعوة المسيح عليه السلام نفسه (راجع كتاب دين الخوارق Supernatural Religion فصل 3-7 من الجزء الرابع).

5. إن اختلاف البشر أمر طبيعي أراده الله ولا بد منه، ولو أرسل الله رسولا لبيان ذلك عقب المسيح مباشرة لآمن به بعض الناس، وكفر به الآخرون ولما زال الخلاف من بينهم.

شيء، وبه خلق كل شيء (1 كو 8: 6) فهو عنده ليس قديمًا كالإله تعالى، بل منه استمد وجوده وقدرته، راجع أيضا أمثال 8: 22 - 31 وهو أقل منه درجة وخاضعًا له (1 كو 15: 27 و28 و11: 3) وأما مساواة عيسى بالله تعالى في كل شيء وخصوصًا في الجوهر والمقام والأزلية، فبولس لم يعرفها كما هو صريح جميع رسائله، وإنما هي مسألة سَرَتْ إلى النصرانية بعد بولس من فلسفة الرواقيين في الكلمة، وفلسفة يهود الإسكندرية فيها، وخصوصًا فيلو Philo الذي كان معاصرا للمسيح، والظاهر أنها لم تصل إلى كتب العهدين التي بقيت إلى الآن خالية من كل نص صريح قاطع يدل على الألوهية الحقيقية للمسيح ومساواته للأب المساواة التامة في كل شيء، بل جميع عباراتها تنافي هذه العقيدة (راجع أيضا كتابنا (دين الله) فصل 2 صفحة 67 و77).

6. لما كثر الفساد في عقائد الأمم قاطبة وفي مذاهبهم وعم جميع شؤونهم الدينية والدنيوية وكثر سفك الدماء وظلم الأبرياء وخصوصًا عند النصارى – أرسل الله محمدا على فترة من الرسل فبين لهم الحق من الباطل.

7. إن النصارى تقول: إن روح القدس نزل على تلاميذ المسيح بعده وأرشدهم إلى الحق في كل شيء، فهل زال الخلاف من بين النصارى بسبب ذلك؟ لا إننا لا نرى أمة من الأمم اشتد اقتتالها واختلافها في كل جزئية من جزئيات الدين والدنيا أكثر من النصارى، وخصوصًا بعد نزول هذا الروح المزعوم. فلهذا كله اقتضت الحكمة الإلهية تأخير البيان حتى اشتدت حاجة الأمم كافة، واستعدت نفوس البشر لقبول الإصلاح بعد أن عم الفساد الأرض، فجاء محمد على حين فترة من الرسل كما قال القرآن الشريف (5: 19) بالإصلاح الذي ينشدونه وبيان الحق الذي يتطلبونه؛ فلذا دخل الناس في دينه أفواجًا أفواجًا، وعم سلطانه الأرض في وقت قصير لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر، كما بينه الأستاذ الإمام في رسالة علم التوحيد، وإلى الآن نرى الناس يقتربون من الإسلام شيئًا فشيئًا، حتى أوشك حكماء أوروبا وعلماؤها أن يدخلوا فيه من حيث لا يشعرون؛ وسيكون – إن شاء الله – هو دين الإنسانية العام في الأرض كما تدل عليه بوادر الأمور، ولا يهولنك ضعف دوله الآن، فإن ذلك لا يعد

شيئًا في جانب ما نراه من اقـتراب جميـع العقـلاء والمفكـرين مـن عقائـده اقترابًا كليًّا أو جزئيًّا حتى سادت العقائد الإسلامية على أذهان كبار الناس اليوم في كل مكان (راجع ما تنشره جمعية العقليـين (rationalists) **كالكتـب التي تصدر من مطبعة** Walts Co. **شركة واطس بلندرة، ومن هذه الكتـب يتضح لك صدق قوله تعالى:**

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ **فصلت: ٥٣**

(استطراد لا بأس به)

بمناسبة ذكر جبل الزيتون كثيرًا في هذه المقالة نقول ما يأتي:

سمي هذا الجبل بذلك لكثرة ما كان به من شجر الزيتون، ولهذا الجبل شهرة عظيمة في تاريخ المسيح يعرفها المطلعون على الأناجيل، والأرجح أنه أول ما نزل عليه الوحي كان عليه السلام هناك (راجع مثلا لو 4: 1 و5 و 9) لذلك أقسم الله تعالى به في قوله:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ ﴾
التين: ١ – ٣

أما التين فهو شجرة بوذا مؤسس الديانة البوذية التي تحرفت كثيرًا عن أصلها الحقيقي؛ لأن تعاليم بوذا لم تكتب في زمانه، وإنما رويت كالأحاديث بالروايات الشفهية، ثم كتبت بعد ذلك حينما ارتقى أتباعها. والراجح عندنا بل المحقق – إذا صح تفسيرنا لهذه الآية – أنه كان نبيًّا صادقًا ويسمى سكياموني أو جوتاما، وكان في أول أمره يأوي إلى شجرة تين عظيمة وتحتها نزل عليه الوحي وأرسله الله رسولا فجاءه الشيطان ليجربه هناك فلم ينجح معه كما حدث للمسيح في أول نبوته (راجع لو 4: 1 –13) ولهذه الشجرة شهرة كبيرة عند البوذيين تسمى عندهم التينة المقدسة، وبلغتهم (أجابالا) (Ajapala).

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أعظم أديان البشر الأربعة الموحاة منه تعالى لهـدايتهم ونفعهم في دينهم ودنياهم، فالقسم فيها كالتمهيد لقوله بعده:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين: ٤

إلى آخر السورة، ولا يزال أهل الأديان الأربعة هم أعظم أمـم الأرض وأكثـرهم عددًا وأرقاهم.

والترتيب في ذكرها في الآية هو باعتبار درجة صـحتها بالنـسبة لأصـولها الأولى فبدأ تعالى بالقسم بالبوذية؛ لأنها أقل درجة في الصحة وأشد الأديان تحريفًـا عـن أصلها كما يبدأ الإنسان بالقسم بالشيء الصغير ثم يرتقي للتأكيد إلى ما هو أعلى.

ثم النصرانية وهي أقل من البوذية تحريفًا، ثم اليهودية وهي أصح مـن النـصرانية ثم الإسلامية وهي أصحها جميعًا [16]، وأبعدها عـن التحريـف والتبـديل بـل إن أصولها (الكتاب والسنة العملية المتواترة) لم يقع فيها تحريف مطلقًا.

ومن محاسن هذه الآية الشريفة غير ذلك ذكر ديني الفضل (البوذية والمـسيحية) أولا ثم ديني العدل (اليهودية والإسلام) ثانيًا للإشارة إلى الحكمة بتربية الفضل والمسامحة مع الناس أولا ثم تربية الشدة والعدل، وكـذلك بـدأ الإسـلام بـاللين

---

[16] قال العلامة أرثر دروز (Arthur drews) في كتابه (شهود تاريخ يسوع ص 295): إن الإسـلام هـو الـدين العظيم الوحيد الذي نعرف عنه باليقين أن مؤسسه كان شخصًا له وجـود حقيقـي تـاريخي . ا هــ وقـد ذكـر هـذه العبارة بعد أن أظهر شكه من الوجهة التاريخية في سائر مؤسسي الأديان الأخرى .

والعفو ثم بالشدة والعقاب، ولا يخفى على الباحثين التشابه العظيم بين بوذا وعيسى ودينيهما، وكذلك التشابه بين موسى ومحمد ودينيهما فلذا جُمع الأولان معًا والآخران كذلك.

وقدم البوذية على المسيحية؛ لقدم الأولى كما قدم الموسوية على المحمدية لهذا السبب بعينه، ومن محاسن الآية أيضا: الرمز والإشارة إلى ديني الرحمة بالفاكهة والثمرة، وإلى ديني العدل بالجبل والبلدة الجبلية: مكة، وهي البلد الأمين، ومن التناسب البديع بين ألفاظ الآية أن التين والزيتون ينبتان كثيرًا في أودية الجبال كما في جبل الزيتون بالشام، وطور سيناء وهما مشهوران بهما، فهذه الآية قسم بأول مهابط الوحي، وأكرم أماكن التجلي الإلهي على أنبيائه الأربعة الذين بقيت شرائعهم للآن، وأرسلهم الله لهداية الناس الذين خلقهم في أحسن تقويم.

(استدراك)

نص كتاب صدق المسيحية The Truth Of Christianity في ص **560** على أن المسيحية انتشرت قديمًا في بلاد الهند، فلعل ذلك مما يساعد على القول بالهجرة الهندية السابقة.